سيرة الاعدام السياسي في السودان

١٨٢١ ـ ١٨٩٨



محمد عبد الخالق بكرى

سيرة الاعدام السياسى فى السودان

١٨٢١ - ١٨٩٨

محمد عبد الخالق بكرى

الطبعة الأولي
القاهرة
- ١٩٩٨ -
رقم الإيداع

٩٨ / ٧٠٤٤

الشركة العالمية للطباعة والنشر
الخرطوم - عمارات الأمارات
القاهرة - حدائق المعادي ت: 3515433



إهداء

إلى جدتي

حبوبة سيدة بت داوود

وإلى أمي عزيزة السماني

وإلى زوجتي ناهد حسيني

مع محبتي ومعزتي

محمد عبد الخالق

تقديم

يواجه الباحث السودانى المعاصر مشكلة الكتابة في موضوع جديد تماماً لم يعالج من قبل أو يحتاج لطريقة جديدة في المعالجة. فهذه صعوبة متجددة للفكر أن ينتج موضوعات أصيلة بمعنى أنها تعكس قدرة الباحث على الابتكار والتجديد، وألا يقلد. فالتقليد ليس ابداعاً بل اعادة انتاج للموجود أصلاً. لذلك حين عرض عليّ الصديق الباحث محمد عبد الخالق مخطوطته التى عنوانها: (سيرة الاعدام السياسى في السودان ١٨٢١-١٨٩٨) شعرت بسعادة لان الموضوع جديد ثم بعد ذلك لمست الجدة في التناول أيضا. لذلك، اعتقد أن مبدأ اقتحام الشباب لميادين ومجالات بحثية مختلفه هو في حد ذاته بشارة لتقدم البحث في السودان. فقد دأب الكثيرون في السابق على أن «يقتلوا. موضوعات محددة بحثاً». وبالفعل تقتل وتأتى ميتة بلا روح وابداع. ولكن مثل الموضوع الحالي الذي بين يدى القارئ يتميز بالمغامرة والاقتحام وطرق درب غير ممهد ولا معبد. ورغم صعوبة الحصول علي المراجع والوثائق، فقد قدم الباحث محاولة جيده لرصد سيرة الاعدام السياسى في السودان خلال سبعين عاماً. ويمثل بداية ومفتتحاً في موضوع شائق وشائك.

يفتح مثل هذا البحث الطريق إلى معالجة قضايا تبدو بعيدة عن الاهتمام الاساسى للكتاب، فالاعدام ووسائله تعبير عن جوانب معينة في الثقافة تساعد في فهم ثقافة أو شخصية شعب معين. هل هو عنيف أم متسامح أم محب للحرية؟ هل هو شعب شجاع أو متهور أو صبور؟ كذلك

من خلال موضوع الاعدام قد نستثف المواقف من قضايا سياسية ودستوريه مثل الموقف من الديمقراطيه وحقوق الانسان ومن دعوات مثل الغاء عقوبة الاعدام وإلى أى مدى يستطيع تطور مجتمع ما ان يقبل مثل هذه الدعوة.

يضاف إلى ذلك موقف المجتمع من العقوبات أصلا هل هي للردع أم للانتقام أو الاصلاح؟ لذلك فمثل هذا البحث ينتهى وقد بدأت رؤوس مواضيع لابحاث أخرى تظهر من بين صفحات البحث.

إن محاولة الباحث محمد عبد الخالق كما لمح صاحبها في المقدمة تعد القارئ بمتابعة الفكرة وتعميقها.

وقد يتوقع القارئ مستقبلاً أن تذكر ملابسات اصدار الاحكام والحيثيات ثم ردود الفعل فهل ينتهى الامر دائماً بالاعدام الا يكون للمسألة ذيولها القبلية والعشائرية وحتى الدينية والطائفية مثلاً؟ هل توجد حالات لاعدام لم يتم في اللحظات الاخيرة مثلاً؟ هل يمكن ايراد الوصف النفسى لبعض حالات من نفذ عليهم الاعدام؟

إن القارئ موعود بكتاب جرئ ومقتحم وسيجد فيه معلومات جيدة عن ممارسات الاعدام السياسى في السودان خلال القرن الماضى. واعتقد أنها بداية جيدة للصديق محمد عبد الخالق لكى يلج الاركان المجهولة في التاريخ السوداني وهو قادر بالمثابرة ان يحقق الكثير في هذا المجال.

د. حيدر إبراهيم علي

المقدمة

يهتم هذا البحث برصد وتتبع سيرة الاعدام السياسى والتصفيات الفردية و الجماعية التى مارستها السلطة فى الفترة من ١٨٢١ إلى ١٨٩٨م. فهو بحث عن عنف السلطة - أيا كانت أجنبية أو وطنية - فى مواجهة السكان. فالسلطة أيا كانت، فى بحثها عن التوطيد والديمومة تعمد إلى الأبادة والتنكيل.

والإعدام بما أنه وضع حد لحياة الإنسان تحكميا إنما يمثل قمة ممارسة هذه السلطة، قمة ممارسة الحكم، وقمة ممارسة العنف.

والبحث فى تتبعه لحالات الإعدام والتصفيات يحاول الوقوف على طبيعة التهمة الموجهة للمعارض أو المعارضين وكيفية صياغتها، ويحاول الوقوف على ملابسات الحكم، والجهة التى أصدرته. كما يسعى إلى تتبع طريقة تنفيذ الأحكام ووسائل الإعدام والاته والتقاليد العقابية التى تم تطبيقها.

وقد لا توفر لنا المصادر فى كل حالة على حدة الإجابة على كافة هذه المسائل فنحاول قدر المتاح من تجميع الحالات الإجابة عليها.

ويهتم البحث اهتماما خاصا بمعاملة جثمان وأجداث ضحايا أحكام الإعدام والتصفيات، فإذا كان القتل وإنهاء الحياة يمثل قمة ممارسة سلطة القهر والإخضاع فإن المثلة (التمثيل بجسمان المعدم) والعبث به يمثل استمرار لسلطان الحكومة على جسد المعارض وتوظيفه فى اشاعة حالة الإرهاب وتعميقها وضرب (المثل والعظة) فى تقديرها.

هذه الحلقة من تاريخ السودان - الإعدام السياسي - تتجمع فيها كثير من الأوردة والشرايين وتتخثر حولها عقدة التقاء العديد من الخيوط المحركة لتاريخ السودان فى الفترة محل البحث. فحكم

الإعدام يعد قمة المواجهة بين السلطة والفرد أو مجموعة معينة، ويمثل القمة التى لا ترى السلطة بعدها أن الحياة تسعها هى وخصمها فتعمد إلى أقصائه نهائيا عن طريقها، فالإعدام معبر عن نهاية صراع أو على الأقل مرحلة من مراحله.

وتكشف لحظات المواجهة هذه عن سمات وملامح أساسية فى طبيعة كل من السلطة ومعارضتها وهذا البحث وإن عنى بطبيعة الحال بالمعارضة والمناهضة للحكم، ألا أنه يستبعد من دائرته حالات الحرب الثورية الواسعة وشهدائهافى المعارك إلا فى حدود ضيقة وهى حالة معاملة الاسرى والسجناء نتيجة هذه المواجهات كذلك حالة ومعاملة اجساد القتلى فى المواجهات. ومن باب أولى أن يستبعد أيضا ضحايا حروب الغزو واحتلال البلاد.

وإذا كان البحث ينصب على ممارسة السلطة للحكم فإنه يكف عن معاملة المعارضين كمعارضة بمجرد أن يستلموا زمام الأمر فى مكان ما ويتحولوا إلى ممارسة السلطان، ويظهر ذلك فى حالة المدن المحاصرة، فيحتل المحاصرون موقع الثوار وهم على أسوار المدينة إلى أن تسقط فى أيديهم وتنتهى السلطة السابقة، فتدخل عندئذ ممارستهم فى دائرة ممارسة السلطة. أو فى حالة الممارسات العقابية قبل أن تستقر السلطة نهائيا فى أيديهم.

وعمدت إلى تصنيف ودراسة الإعدامات التى تجمع بينها خصائص نوعية معينة وترتكز هذه الخصائص إما على مسلك السلطة وسياستها العقابية أو على طبيعة الأشخاص والمجموعات من ضحايا الأحكام. وكثيرا ما يتداخل معيارا التصنيف هذان فى سير الدراسة.

والبحث بشكله الراهن لا يستوعب جميع حالات الإعدام السياسى وإنما قصد منه إلقاء بعض الضوء على هذه السيرة فى السودان، ولعل الحظ يسعفنا فى متابعة البحث فى هذا الجانب لتغطية حقب تالية للتاريخ الذى تقيدت به الدراسة.

القسم الأول

الإعدامات والتصفيات
فى
دولة التركية

الفصل الأول

السمات العامة للسياسات العقابية في الحكم التركى

نستطيع أن نقول أنه طوال سنوات الحكم التركى فى السودان ١٨٢١ - ١٨٨٥ لم تحكم أى مبادئ حقوقية أو قانونية واضحة مسئولية الأفراد عن أفعالهم المناهضة للسلطة.

فقد ساد اضطراب عظيم تحديد التهمة وصياغتها حتى السنوات المتأخرة للحكم التركى، فأحيانا يتم توقيع أقصى درجات العقوبة على بعض المعارضين الذين لعبوا أدوارا محدودة ويتم إعفاء ذوى الأدوار الأكبر مراعاة لتوازنات سياسية، بل فى كثير من الأحيان يتم توقيع أقصى درجات العقاب مع إنعدام أى تحديد لتهمة سياسية أو عصيان.

ولعل متابعة أول الإجراءات العقابية المتخذة بعد تسليم سنار عاصمة السلطنة الزرقاء يعكس بداية هذا الإضطراب.

كان أول حكم ينفذ بالإعدام بالرفع على الخازوق قد نفذ فى حق عبد الله بخيت وادريس ود عقيد [(١)] وكانت جريمتهما الإشتراك فى قتل الوزير محمد ود عدلان وزير السلطنة وذلك بتحريض من حسن ود رجب الذى كان له ثأر على الوزير لقتل الأخير شقيق محمد ود رجب.

ومما يدفعنا إلى وضع هذا الإعدام فى تصنيف الإعدام السياسي إن الغرض منه كان سياسيا في المقام الأول. فهو لم ينفذ قصاصا إذ أن

(١) نعوم شقير (٢٠٢) ، مكى شبيكة السودان فى قرن ص ٢٨ / مكى شبيكة السودان عبر القرون ص ٩٤ .

المحرض الرئيسى على الجريمة حسن ود رجب لم ينفذ عليه الإعدام بل بقى مسجونا لفترة ثم أطلق سراحه. ولا نظن أن اسماعيل باشا كان حريصا على إنصاف دم الرجل القوى الوحيد فى سنار الذى كان يعد العدة للقائه وهو صاحب العبارة المشهورة فى رسالته لإسماعيل (لا يغرنك انتصارك على الجعليين والشايقية فنحن الملوك وهم الرعية الخ) إنما قصد الإعدام بهذه الصورة المروعة لبث الرعب فى سكان البلاد وإظهار هيبة السلطة الجديدة فى العاصمة المفتوحة.

وكما أشار مكى شبيكة أن إعفاء إسماعيل للمحرض يتضمن امتنانه لتخليصه من خصم عنيد متمثل فى شخص الوزير الذى بدأ الاستعداد للقتال.

وتتبين تنفيذ الاحكام في غياب تهمة فى حالة إعدام الحاج على ود تمساح شنقا [٢] فقد كان الحاج على منافسا للمك نصر الدين على ككر الميرفاب ويبدو إنه قد نال مكوكية الميرفاب فى تنافسه مع المك نصر الدين. وعند وصول الجيش إلى بربر استقبله المك نصر الدين وسيق على ود تمساح أسيرا إلى سنار حيث تم تنفيذ الإعدام عليه شنقا. فقد كان المك نصر الدين من الأعيان السودانيين الذين ذكر أنهم غادروا إلى مصر والتقوا بمحمد على باشا ودعوه الى فتح السودان وقيل أنه غادر خصيصا الى مصر ليستعين بمحمد على على منافسه على ود تمساح.

ومن الواضح أن الحاج على ود تمساح قد قتل نتيجة هذا الإتفاق، فهو لم يرفع سيفا فى مواجهة الحكم الجديد. وإنما قتل تصفية لحسابات سابقة للغزو.

ويتجلى غياب تحديد التهمة فى عدد من السمات البارزة انتظمت

---

(٢) مخطوطة كاتب الشونة ص ٨٨/ تاريخ ملوك السودان ص٢٥/ رتشارد هل مصر فى السودان ص١٠.

أداء السلطة فى تنفيذها لسياسة العنف ضد السكان . وتتلخص هذه السمات فى الأتى :

١ - الإبادة الجماعية.

٢ - الإعدام أو الإغتيال الوقائى.

٣ - القتل بالشبهة.

٤ - أخذ البرىء بذنب المذنب (النيل من أهل المعارض وأقاربه)

وسنتناول تباعاً هذه السمات.

أولا الإبادة الجماعية

إتسمت العقود الأولى للحكم التركى بميل الحكام الجدد إلى الإبادة العنيفة التى تطال جماعات واسعة من السكان. ولعل السودان لم يشهد طوال تاريخه الحديث والقديم مثلما شهد إبان حملة الدفتردار الإنتقامية بعد مقتل إسماعيل باشا فى ديسمبر ١٨٢٢ م

ففى وصفه لبداية الحملة ذكر المؤرخ السودانى أحمد بن الحاج أبو على كاتب الشونة (ولما جاوز دار الجميعاب وضع يده بالقتل والخراب، وخرب تلك المدائن وعدم فيها القاطن والساكن.) وفى استمرار القتل يذكر "ووضع يده بالخارب ثانيا فما ترى بها أنيسا ولا تسمع بها حسيسا من حد شندى إلى كترانج.) [٣].

وقد ذكر كاشف المتمة بعد عامين من المجزرة لـ « بروكشى » أنه يقدر عدد القتلى ب ٥٠٠٠٠ نفس. [٤] ومهما كانت التقديرات فإنه من الثابت أن عدد الضحايا كان كبيرا وقد أدى العسف إلى هجرات واسعة ونال العقاب مجموعات قبلية وافراد لم يشاركوا أصلا فى الإنتفاضة.

(٣) مخطوطة كاتب الشونة / أحمد بن الحاج على / تحقيق الشاطر بصيلى ص٩٢.
(٤) رتشارد هل (مصر فى السودان) ص ١٨ .

ومن المجموعات القبلية من غير الجعليين التى نالت نصيبا وافرا من غضبة الدفتردار الحسانية. فقد اجتمعوا بالجزر التى على النيل تنحيا عن طريقه، فوصل إليهم على الأرماث وأوقع بهم مجزرة هائلة. (٥) كما نكل بالشكرية وجل الهمج وأحرق شندى وتوتى والحلفاية والعيلفون وقتل أهلها تقتيلا.

ومما يعزز الإعتقاد بنية الدفتردار فى الإبادة الجماعية متابعة المصير الذى واجهه أسرى هذه المطاردات والملاحقات، فقد نتج عن مجزرة المتمة ٢٠٠٠ قتيل وثلاثة ألاف أسير قتلوا عن أخرهم. (٦) وقتل حرقا من لجأ إلى خلوة الشيخ الفقيه أحمد الريح (٧).

وبعيدا عن مسرح الحدث على النيل الأبيض نفذ حسين أغا جوخدار حكما غريبا على ٧٢ رجلا من الجعليين كان قد أمنهم. إذ تقدم أحد العساكر طابا شخص يدعى الفقيه فضل الله بثأر أخيه لأنه تسبب فى قتله. فأمر جوخدار بحبسهم جميعا. ولما لم يجد الرجل بينهم قطع أيديهم جميعا فمات معظمهم (٨).

أما أسرى واقعة النصوب فقد عاد بهم الدفتردار الى أم عروق جنوب ودمدنى وقد جمعهم فى زريبة من الشوك وتركهم تحت الشمس لايظلهم شئ وأجرى عليهم الماء بالجداول فمات أكثرهم من شدة الكرب (٩).

أما أسرى واقعة (مكدور) بين الملك مساعد والدفتردار فلم يكونوا

(٥) مكى شبيكة السودان عبر القرون ص ١١٠ / السودان فى قرن ص ٣٥ .
(٦) مكى شبيكة / السودان عبر القرون / ص ١٠١ .
(٧) كاتب الشونة ص ٩٢ / نعوم شقير ص ٢٠٩ / مكى شبيكة السودان فى قرن ص ٣٥ / تاريخ ملوك السودان ص ٢٤ .
(٨) كاتب الشونة ص ٩٣ / نعوم شقير ص ٢١٠ .
(٩) نعوم شقير ص ٢١٠ / كاتب الشونة ص ٩٤ / تاريخ ملوك السودان ص ٢٥ .

أسعد حظا حيث أسر حوالى سبعة ألاف مات منهم الكثيرين فى الطريق بالجوع والعطش [١٠].

هذا فيما يتعلق بحملة الدفتردار الإنتقامية فقد حمل البلاد وقاطبيها دون تمييز دم اسماعيل باشا ودشن ارهاب السلطة بهذه الإجراءات الممعنة فى وحشيتها.

وبدأت موجة جديدة فى الإبادة فاتحة لعهد عثمان بك جركس وذلك من خلال حملة قاسية لجمع الضرائب قال عنها كاتب الشونة "وأزعج فيها البلاد وضاقت العباد وفرقوا عليهم المطلوب وخرجت الحوالة واشتد الكرب وأحاطوا الحلالات وخلصوا المطلوب وظهر الجمرك." [١١] وقتل عثمان جركس فى هذه الحملة أعداد كبيرة من سكان الجزيرة، وكانت سببا فى هجر الأوطان والهرب من وجه الحكومة" وهرب الناس إلى نحو القضارف فلحقهم إبراهيم أفندى فقتلهم مقتلة عظيمة. ولما كثر فيهم القتل طلبوا الأمان فصاروا يجمعونهم حلقا حلقا ويقتلونهم." وقال نعوم شقير "كانت مدة عثمان بلاء ذهب فيه نحو نصف السكان من المرض والقحط والقتل والظلم" [١٢].

وأحدث خورشيد مذبحة كبرى فى ديار الشلك عام ١٨٣٠ وقتلهم مقتلة عظيمة ما سمعت فى أوايلهم إلا واقعة الملك بادى أبو رباط بهم [١٣].

وفى إقليم التاكا ارتكبت كثير من الآثام حتى قتل جميع الأسرى على مرأى من أبو ودان باشا والمنكلى باشا حتى لقب الأول بالباشا الجزار. "ويبدو أن هذه القسوة كانت بالغة حتى لقد خشي الباشا أن

(١٠) مكى شبيكة السودان عبر القرون ص ١٠٣ .
(١١) مخطوطة كاتب الشونة ص٩٧.
(١٢) المصدر السابق ص٢١٣.
(١٣) المصدر السابق ص١١١.

تتسرب أخبارها الي الخارج ففرض رقابة على المكاتبات المرسلة وصار يعدم منها ما لا يتفق مع أغراضه (١٤).

وهكذا نجد فى إطار حملة الإبادات الجماعية تغيب أى صياغة لقانون الدولة أو الخروج عليه. وإنما تعامل البلاد وجميع رعاياها كأرض حرب يحكمها الحديد والنار.

ثانيا : الإعدام والإغتيال الوقائي

عمدت الحكومة التركية فى حالات عديدة إلى إعدام أشخاص لمجرد إحتمال تشكيلهم خطرا على السلطة فى المستقبل. ففى هذه الحالة يغلب علي ممارسة السلطة السلوك التآمرى وبالطبع لا يتعرض المعارض المحتمل الى أى تهمة أو يخضع لمحاكمة، وإنما يؤخذ على حين غرة وينفذ عليه حكم الإعدام أو الإغتيال فى بعض الأحيان.

وكان إسماعيل باشا أول من استن هذه السنة فى الحكم التركى فكان أن أشيع أن إسماعيل باشا قد قُتل فى جبال فازوغلى، فتحرك أهل سنار للثورة تخلصا من عبء الضرائب التى فرضت عليهم فأسرع عائدا الى سنار وهدأ البلاد ولم يقتل أحدا إلا ود عجيلاوى .

لكن بعد مضى فترة من الزمن قدر أن النار تحت الرماد وما زال بعض الرؤوس يترقبون الفرصة لإضرامها . فأرسل إسماعيل باشا بعض العساكر فقتلوا رجب ود عدلان على فراشه وأتوا بأخيه على أسيراً إلى ود مدنى فقتل شنقا (١٥) بقتله لم تعهد فى البلاد (١٦).

ويبدو أن الأخوين أبناء عدلان قد قدرت السلطة مجرد انطوائهما

---

(١٤) السودان المعاصر منذ الفتح المصرى حتى الإستقلال (١٨٢١-١٩٥٣) د. زاهر رياض ص ٦٨.

(١٥) نعوم شقير ص ٢٠٨ .

(١٦) كاتب الشونة ص ٩٠ .

على الخطر، ولم تتح لهم فرصة للتحرك ولم تنقل المراجع ذكر أى تحرك لهما فى قيادة الناس ضد السلطة فى سنار. ويبدو من طابع اغتيال رجب على فراشه الصيغة التآمرية فى هذه الممارسة.

ونال الاغتيال الوقائى حتى حلفاء السلطة، وذلك عندما تشعر أنهم باتوا يشكلون خطرا عليها، وهذا ما فعله أحمد باشا أبو ودان بالمك كمبال بن المك شاويش أحد زعماء الشايقية حيث كلف أحد جنوده باغتياله من الخلف (١٧).

وتبدأ القصة عندما حاول أحمد باشا فرض سياسة ضريبية جديدة على الأراضى التى حازها الشايقية بين الخرطوم وشندى بعد أن طرد العبدلاب والجعليين منها فى أعقاب حملة الدفتردار. فقد أعفى خورشيد الشايقية من ضريبة هذه الأرض لأنهم يعملون فرسانا فى الجيش كما كانت الحكومة توفر لهم حصة شهرية من العلف لخيولهم. فأصر أحمد باشا بعد تسلمه للسلطة على نسخ كل هذه الحقوق والزامهم بدفع ضريبة الأرض بأثر رجعي ولم تجدى مفاوضات زعماء الشايقية مع الباشا فرضخوا للأمر عدا أحد الزعماء وهو المك حمد الذى جمع مئتين من رجاله وحرق الزرع وخربه وهرب برجاله وأسرهم.

وقد أتعب المك حمد أحمد باشا ايما تعب وألحق به الكثير من الخسائر وقتل الكثير من رجاله الأتراك والمغاربة. وفى أثناء مطاردته له كان الباشا يصطحب المك كمبال ورجاله، فخاف أن ينضم المك كمبال إلى قريبه المتمرد فأمر جنديا مغربيا يجيد الرماية بالاختباء فى مكان لإطلاق النار عليه واغتياله. ففعل المغربي ما أراد من خلف شجر كثيف كان يمر من خلاله المك كمبال فأصاب منه مقتلا من مسافة قريبة (١٨)

(١٧) على تخوم العالم الإسلامى / حقبة من تاريخ السودان ١٨٢٢ -١٨٤١ الجزء الأول ترجمة عبدالعظيم محمد أحمدعكاشة ص ١١٢ وما بعدها .
(١٨) المرجع السابق ص ١١٧ .

وقد أخترقت الرصاصة ضلوعه... ثم توفى بعد ساعتين. وفى رواية أخرى ذكر ويرن فى «جولات أفريقية الجزء الثانى ص ١٧٧ » [١٩] أنه قد قام بطعن كمبال من الخلف أحد مشاة [٢٠] أحمد باشا.

وهكذا كانت نهاية كمبال فى شتاء ١٨٣٩ - ١٨٤٠ بغير ذنب جناه سوى احتمال بعيد بانضمامه الى قريبه المك حمد. ومما يثير الدهشة حقا أن الباشا حمد أبو ودان قد عفا عن المك حمد فى نهاية الأمر عندما تمكن الأخير من الإفلات إلى حدود الحبشة فآمنه بعد وساطة بعض الشيوخ وعاد معه إلى العاصمة.

وهناك نموذج آخر يمثل أقصى ما يمكن أن تتخذه الحكومة من ضربات وقائية وهو ما حدث لبعض أقارب الشيخ سليمان بن أبى روف زعيم قبيلة رفاعة عام ١٨٤١، فقد أشيع أن سليمان قد مات مسموما وأن للحكومة يد فى قتله فثارت موجة من التذمر والسخط بين أفراد القبيلة، وصار التنقل فى منطقتهم محفوفا بالخطر رغم أن رجال القبيلة لم يتعرضوا لأحد بسوء. فوجه أحمد باشا فرهاد بك بوضع حد لهذا التمرد. فتوجه فرهاد الى الروصيرص وصار يتحرى عن الأمر حتى وقف على الحقيقة كاملة فشرع فى الحال فى استدعاء أقرباء سليمان تحت وعود كاذبة وعندما حضروا جميعا أوثقهم بالقيود وقتل منهم سبعة رجال [٢١].

ولم تكف الحكومة عن استعمال هذا النوع من الضربات الوقائية حتى وهى تلفظ أنفاسها فى أيامها الأخيرة إبان حصار الخرطوم. فقد كان يقيم منفيا بالخرطوم أحمد العوام أحد خطباء الثورة العرابية وكان

---

(١٩) المرجع السابق.
(٢٠) ذكرت بعض المصادر مقتل كمبال دون تفاصيل. تاريخ ملوك السودان ص٣٣/ نعوم شقير ص ٢٢١.
(٢١) على تخوم العالم الإسلامى الجزء الاول ص ١٤٢ - ص ١٤٣.

مشايعاً للثورة عاطفا عليها، وقد أعلن انحيازه الواضح للثورة المهدية فى رسالته المسماه (نصيحة العوام) وكان العوام رجلا شديد الشجاعة لا يخاف. وكان يجاهر بعدائه للحكومة على مرآى ومسمع من غردون. وأثرت أقواله فى الناس فسجنه غردون ثم عفا عنه وأطلقه ووظفه معاونا للحكمدارية، ولكن واصل أحمد العوام تحريضه وتهييجه للناس فلفقت له تهمة تحريض امرأة على رمى جمرة نار فى مستودع الذخيرة فأمر غردون بقتله فقتل فى سراى الشرق [٢٢] وكان ذلك عام ١٨٨٤ م

ويبدو أن غردون قد ضاق به ذرعا ولم يجد سبيلا للوقاية مما يترتب على جرأته فى المعارضة إلا وقد طرقه فقد سجنه ولم يجدى فتيلا وأكرمه فلم يجدي، فيبدو أن الطبيعة الثائرة للعوام قد غلبت على عطف غردون. أما اتهامه بتحريض امرأة على اشعال النار فى مخزن الذخيرة فهو أمر لا يمكن تصديقه. لأن ذلك يتنافى مع تكوين رجل يملك كل هذا القدر من الشجاعة والجرأة وهو الذى وجد فى منفاه ميدانا جديدا للثورة ضد الظلم، فنرى أن مثل هذا الرجل لو أراد نسف مخزن الذخيرة لفعل ذلك بنفسه دون الحاجة إلى تحريض إمرأة ولكنه اختار لنفسه دور المحرض والمثير وكان يهدف إلى الإقامة بين سكان الخرطوم المحاصرين مؤديا هذا الدور الذى ارتضاه لنفسه فلم يكن أمام غردون إلا إعدامه

ثالثاً / الإعدام بالشبهة

ترتكز حرية التصرف غير المحدودة للولاة الذين تولوا أمر السودان فى فترة التركية السابقة على السلطات الممنوحة لهم من قبل الوالى فى مصر. فبين أيديهم تجتمع كل السلطات العسكرية والمدنية وحق التصرف المطلق فى الأرواح دون رقابة قضائية على تصرفاتهم. ولعل

---

(٢٢) نعوم شقير ص ٤٩٧ / مكى شبيكة السودان فى قرن ص ٢١٥/ رتشارد هل ص ١٦٤ / مكى شبيكة السودان عبر القرون ص ٢٨٦ .

ما يسمى سلطانا على القتل والعفو الذى أشير إليه فى فرمان ولاية غردون الأولى فى ١٧/ فبراير ١٨٧٧ قد تمتع به كافة اسلافه من الحكمداريين السابقين. إلى أن حدد نطاقه فى فرمان تولية رؤوف باشا حيث جاء فى صلب الفرمان : ... ثم أن الرخصة التى كانت ممنوحة لأسلافكم بتنفيذ ما يصدر من الأحكام شرعية كانت أم سياسية فى المواد القضائية الحقوقية والجنائية قد أبقيناها لسيادتكم وعهدتكم أيضا ما عدا أحكام القصاص الواجب استحصال أوامرنا عنها (٢٣) وكما نرى أن تحديد الاستثناء يقتصر فقط على أحكام القصاص.

ويمكن أن نلمس الحدود المطلقة لسلطة الحكمداريين فى أنه لم تكن هناك حاجة لاقامة محاكمات في الشئون السياسية، وقد كان يكفى إصدار أمر بالإعدام ينفذ فى الحال دون مراجعة مثلما أمر عثمان جركس وكيله في الخرطوم عثمان أغا الخربوطلى بإعدام الفقيه الارباب ود الكامل بقنبلة المدفع (٢٤). وقتله للشيخ عبدالله عمر أيضا بقذيفة المدفع بعد أن أتاه مسلما وقتله لعدد من الرجال فى ود مدنى بنفس الطريقة (٢٥).

وعلى هذه الخلفية يمكننا أن نفهم أن الاعدام لمجرد الإشتباه دون أدلة قاطعة كان وارد الحدوث، فمجرد أن يصل الحاكم إلى قناعة شخصية بإدانة أحدهم دون إجراءات تثبت أو استدلال يمكنه أن يصدر أمرا بالقتل. وفى هذا الشأن نذكر الحادث المأساوى الذى راح ضحيته رجل برئ دون جريرة ارتكبها إلا وهو شيخ الهلالية الذي شنق نتيجة هذا

---

(٢٣) نعوم شقير ص ٣٠٨ .

(٢٤) كاتب الشونة ص ٦٧ / قاموس رتشارد هل ص ٥٩ أورد أن من قتله هو الدفتردار .

(٢٥) المرجع نفسه ونعوم شقير ص ٢١٢ / تاريخ ملوك السودان ص ٢٩ / أيضاً تطرق رتشارد هل للقتل بالمدفع فى كتابه مصر فى السودان ص ٢٠ .

النهج. وتتلخص الحادثة فى أنه وأثناء تتبع أحمد باشا لآثار الملك حمد المتمرد كان يمر هو والشيخ أحمد أبو سن قرب الهلالية فقال أبو سن لأحمد باشا وكان له ضغائن قديمة مع شيخ الهلالية: - (أن السكان يتداولون حديثا مفاده أن ذلك الشيخ خرج لاستقبال الملك حمد عند مروره بالقرب من القرية وشوهد أيضا يتحدث إليه حديثا طويلا فى الخفاء وأضاف أبو سن أن للشيخ المذكور نفوذ كبير فى قريته والقرى المجاورة الأمر الذى مكنه من تحريض الأهالى على الثورة على الحكومة. فما كان من أحمد باشا إلا أن اعتقل الشيخ وأرسله مقيدا إلى فرهاد بك في ودمدنى بخطاب يبين جريمته ويأمر بشنقه فورا).

وعندما تسلم فرهاد الأمر اندهش لأنه يعرف أن الملك حمد قد تفادى المرور بالمنطقة أصلا واتخذ طريقا محاذيا لنهر عطبرة وليس النيل الأزرق. فماطل فى تنفيذ الأمر وطلب إعادة الأمر عدة مرات بحجج مختلفة إلى أن أرسل له الباشا أمرا صارما بالتنفيذ فما كان منه إلا أن نفذ الحكم كارها. وكان أن ظهرت براءة الشيخ بعد فوات الأوان (٢٦).

وهكذا كان مجرد الشك كفيلا باطاحة الرؤوس ولعل إعدام سليمان بن الزبير وأعمامه بعد تسليمهم في يوليو ١٨٧٩ من أبشع جرائم السلطة التى بنيت على مسوغات واهية لم تلق أى عطف من كافة المؤرخين حيث انطوت على قدر ملحوظ من الغدر واستندت على وشايات لا قيمة لها خاصة وأن تصرفات السلطة كانت السبب الواضح وراء تمرد سليمان بن الزبير.

فكان أن سلم سليمان إلى جسى ومعه ٧٠٠ رجل من ضمنهم ثمانية من أقاربه فناداهم جسى فى اليوم التالى للتسليم إلى

---

(٢٦) على تخوم العالم الإسلامى / الجزء الأول ص ١١٨ - ١١٩ .

خيمته وسقاهم القهوة وكان قد أوعز إلى بعض الجنود بإحاطة الخيمة ثم خرج منها فدخل بعض الجنود وأوثقوا سليمان وأقاربه وجعلوهم صفا واحدا خارج الخيمة ووقفوا خلفهم ورموهم بالرصاص فانكبوا على وجوههم (٢٧).

وكان تنفيذ هذا الحكم دون أى محاكمة وبنى على أساس أن سليمان كان ينوي الهرب وإنما تسليمه مجرد خدعة. وهكذا يتضح أن جسي وغردون كانا أصلا قد بيتا النية لتصفية سليمان وأقاربه تحت حجة الهرب. وربما كانا يتسترا خلف الهدف (الأسمى) فى محاربة الرق. ويبدو لنا ذلك فى المصير المماثل الذى لقيه القادة الذين رفضوا التسليم مع سليمان، حيث تم اصطيادهم جميعا عدا رابح وتم تنفيذ الإعدام من قبل مسادالية بك فى الفاشر عملا بأمر جسى وهم، أبو القاسم من المجاذيب وموسى جلى، وادريس سلطان ومحمد فضل، وعبدالبين الأسود.

وقد شهدت السنوات الأخيرة للحكم التركى في السودان هذا النوع من الإعدامات التى ترتكز على الشبهة فقط مثلما حدث إبان الثورة المهدية لبعض كتبة سنار الذين اشتبه فى أن لهم اتصالات بالمهدى وكان نتيجة هذا الإتهام أن سيقوا إلى الخرطوم حيث تم إغراقهم فى النيل الأبيض وكان من بينهم الزبير ود ضوة الذي سبق وأن تولى أرفع المناصب فى الحكم التركى (٢٨) وكان ذلك فى يونيو ١٨٨٢.

وفيما يخص الزبير عبد القادر ود الزين المعروف بالزبير ود ضوة

(٢٧) نعوم شقير ص ٣٠٢ / مكى شبيكة السودان فى قرن ص ١٢٨ مكى السودان عبر القرون ص ١٩٨ / قاموس رتشارد هل ص ٣٥٠ / محمد فؤاد شكرى الحكم المصرى فى السودان ص ٢٢٠.

(٢٨) أورد نعوم أنه أتضح لعبدالقادر باشا تواطئهم مع الثورة ص ٢٥٦. بينما ذكر هل فى قاموسه أن عبدالقادر باشا شك فى أتصاله بالمهدى ص ٢٩٠.

هنالك رواية أخرى تذكر أن الزبير قد تم استدعائه للخرطوم ومن ثم أودع السجن ثم قتل فى السجن وفى نهاية الأمر سواء قتل الزبير بإغراقه بواسطة العساكر فى النيل الأبيض أو فى السجن فمن الثابت أنه أعدم بواسطة الحكمدار عبد القادر باشا الذى تولى نظارة السودان بالإضافة الى الحكمدارية.

والزبير ود ضوة عالم جليل قام بمتابعة كتابة تاريخ السودان على نهج كاتب الشونة أحمد بن الحاج أبو علي ورصد حوادث زمانه وسجلها في المخطوطة التى حققها ونقحها مكى شبيكة تحت عنوان تاريخ ملوك السودان. كما أنه تولى منصب شيخ المشايخ خلفا لأبيه عبد القادر ود الزين كما عمل فى القاهرة لبعض الوقت معاونا فى الداخلية.

رابعا : أخذ البرئ بذنب المذنب . ((النيل من أقارب الخارجين))

عندما بدأ نعوم شقير فى تحليل أسباب اشتعال الثورة المهدية وانحياز الناس لها ذكر على رأس أهم الأسباب العنف (٢٩). عنف السلطة تجاه السكان. وهو وإن حصر العنف فى سياسة إسماعيل باشا وما ترتب عليها من اغتياله وحملات الدفتردار الانتقامية، إلا أن أهمية رأيه كمؤرخ تكمن فى أنه مؤرخ من مؤرخى السلطة نفسها وغير متحامل عليها بطبيعة الحال.

وسياسة أخذ البرئ بذنب المذنب بدأت منذ حملات الدفتردار حيث لم يقتصر اقتصاصه على الجانين فى قتل إسماعيل باشا بل عم غضبه المجرم والبرئ. كما عبر نعوم شقير. ولم تتوقف هذه السياسة فى سنوات الحكم التركى التالية خاصة في وقت الأزمات السياسية. والمقصود منها في الأساس إضعاف مقاومة المعارضين من ناحيتين فعندما يتم النيل من أقارب المعارض يصاب بالبلبلة وتضعف مقاومته. كما أنه من ناحية

---

(٢٩) نعوم شقير ص ٣٥٦ .

أخرى تضعف رصيد محتمل من العون للمعارض فى مجتمع يقوم على عصبية الدم. وعلى كل فإن النيل من أقارب المعارض كانت وسيلة ضغط كبرى فى تقدير الحكومة.

وقد استعمل غردون في ولايته الأولى هذه الوسيلة للحد من حركة سليمان بن الزبير، حيث قام باعتقال أقارب الزبير ود رحمة الذى كان محجوزا فى القاهرة - وأودعهم السجن وشمل الإعتقال الشيوخ والنساء والأطفال كما صادر أموال الزبير وبيوته فى الجيلى والخرطوم.

كل هذا فى سبيل الضغط على سليمان وأبيه ووصل الحد بغردون أن أصدر حكما غيابيا على الزبير بالإعدام وصدق على هذا الحكم وأرسله للقاهرة للتنفيذ.

وقد كتب أحد أقارب الزبير الشاهدين على أحداث إعتقال النساء والأطفال خطابا للزبير ساردا فيه كافة التفاصيل فما كان من الزبير إلا أن ألحق الخطاب بعريضة ضافية مدافعا فيها عن نفسه ومطالباً بإطلاق سراح ذويه فاستجاب الخديوى له.

أما بخصوص حكم الاعدام الغيابي على الزبير فقد ردت السلطات فى القاهرة بأنه لا يمكن أخذ الأب بجريرة الإبن وقامت بإلغاء هذا الحكم (٣٠). ولا يعلم المرء ما كان سيؤول إليه مصير الزبير باشا لو كان فى متناول سلطة غردون. ومما يلحظ هنا أن سلطات القاهرة قد تمتعت بإدراك قانونى فات على إدراك سليل (الماغنا شارتا) وممثلى الحضارة الأوربية فى عجلة الحكم الخديوى.

لكن هذه الصحوة القانونية سرعان ما تبددت تحت خطر ظلال سيوف المهدية وهى تدق بعنف قواعد النظام فى السودان. فعندما برز خطر المهدى وبدأت هجرة الناس إليه من كل مكان لتحقيق دعوته

---

(٣٠) مكى شبيكة السودان فى قرن ص ١٢٨ .

ومبايعته خاصة بعد إنتصاراته الأولى على الحكومة، أصدرت الحكومة منشور إلي جميع الجهات تحذر فيه الناس من اتباع محمد أحمد المهدى والمهاجرة إليه وهددت من يخالف الأمر (بتصدير) ماله ومعاقبة أهله فى غيابه.

وبالغعل ألقت الحكومة القبض على عامر المكاشفى شقيق الشيخ أحمد المكاشفى وذلك عندما هاجر الشيخ أحمد المكاشفى إلى المهدى، وزج بعامر فى السجن بسنار وتم تعذيبه والإعتداء على أفراد أسرته وحملته أهوالا إلى أن افتدى نفسه بالمال وخرج من سنار ليرفع بدوره لواء الثورة ضد الحكومة ويقود عرب رفاعة الهوى فى تمردهم.

ولم تنتهى نكبة أسرة المكاشفى عند هذا الحد، فبعد أن انتصر صالح بك الملك على عامر فى واقعة تيقو فى يونيو ١٨٨٢ اكتشف بين الأسرى جماعة من أقارب عامر فرفع أمرهم إلى الحكمدار عبد القادر باشا فأصدر أمرا بشنقهم فى الحال فشنقوا فى سوق سنار [٣١].

ومما يذكر فى هذا الصدد ما قام به قلم مخابرات الجيش المصرى بعد رجوع حملة الإنقاذ وفشلها حيث التفت إلى أقارب المهدى فى دنقلا وقبض على جماعة منهم وهم محمد عبد القادر وشريف ساتى على ومحمد إبراهيم وأحمد النجيب وحاج شريف محمد نور وحاج شريف محمود وأمرهم بكتابة كتاب إلى المهدى يسألونه إطلاق سراح الأوربيين المأسورين وغيرهم من رجال الحكومة فدية لهم، فرد المهدى إلى وكيل اللورد ولسلى رافضا العرض ولو قطعوا أقاربه الذين بين أيديهم إربا إربا. فما كان من الإنجليز إلا أن أطلقوا سراحهم وأكرموهم. ويبدو ان تطور الحس الإنسانى بمثل هذه الوسيلة واستهجانها وقوة الرأى العام وضعت حدا لهذه الممارسة.

---

(٣١) نعوم شقير ص ٣٥٦ .

الفصل الثانى

١ / اعدامات الملحقين بجهاز الحكومة من عسكريين ومدنيين

نتناول فى هذا الفصل عقوبة الإعدام التى تطبق على السودانيين أفرادا كانوا أو جماعات من الذين التحقوا أو تم إلحاقهم بجهاز الدولة الحاكم وتمردوا عليه فى صورة من الصور.

وقد كان نظام الحكم التركى قد أدمج فى تكويناته مجموعات من السودانيين عملت أقسام كبيرة منهم فى الجيش العامل بالبلاد أو فى الخارج كنتاج لخطة محمد على فى إعداد جيش نظامى من السود. وكان هؤلاء من الذين تم اصطيادهم فى حملات جلب الرقيق من قبل الحكومة أو تم شراؤهم أو دفعوا بدلا عن الضرائب وقد تقدم هؤلاء فى سلك الجندية ونال بعضهم رتبا عسكرية رفيعة فى الجيش المصرى وقد عرفوا بالشجاعة والإنصياع لقوانين الضبط والربط العسكرى وعمل بعضهم خارج حدود الإمبراطورية وأحرزوا سمعة طيبة للجيش المصرى كما حدث للأورطة التى عملت فى المكسيك تحت إمرة الفرنسيين.

أما فى الجانب المدنى فقد استعان الحكم التركى بالمكوك والمشايخ السابقين لدخول الجيوش الغازية وكون من هؤلاء جهازا مساعدا للحكومة وعلى وجه الخصوص فى تقديرات الضرائب وجمعها، وكانت أهمية هؤلاء تكمن فى قوة نفوذهم وتأثيرهم على رعاياهم فى إطار الحدود الموكلة لهم ويعملون كليا تحت إمرة جهاز الحكومة وموجهاته.

ولم تسلم علاقة الحكومة بهاتين الفئتين من التوتر فى فترات

مختلفة وكان أن وصلت العلاقة فى بعض الأحيان إلى حد الصدام المسلح. وشهدت تمرداتهم ونفضهم ليد السلطة أحكام صارمة من قبل الحكومة وصلت إلى حد الإعدام. ونتناول فيما يلى بعض التمردات العسكرية والمدنية التى أخذت الطابع العسكرى.

أولا : تمردات العسكريين:

أ/تمرد الجهادية السود فى كسلا ١٨٦٥ وإعداماتهم:

لاشك أن أشهر تمرد قد كان تمرد الجهادية السود فى كسلا سنة ١٨٦٥ فقد كان تمرد الالاى الرابع فى كسلا من السعة والتأثير بحيث حمل اسم (ثورة الجهادية السود) لدى بعض المؤرخين وقد كان هؤلاء حولى ٤٠٠٠ جندى خليطا من الدينكا والفور والنوبة والمولدين.

وبدأت القصة حينما خطر لمدير كسلا إبراهيم بك أدهم أن يرسلهم فى غزوة على جبال البارية والبازة وكان قد مضى عليهم ستة أشهر لم يقبضوا فيها مرتباتهم فرفضوا الإنصياع للأمر، ونتيجة لإصرارهم وتصلب القيادة فى معالجة الأمر تدهور الموقف فبدأوا بضرب أحد القادة وحملوا سلاحهم وخرجوا نحو سبدرات والتقوا بمجموعة من العساكر الباشبذق بمدفعين و٦٠ صندوق جبخانة محملة على ٣٠ جمل فقتلوهم وضربوا قائدهم وكان ذلك فاتحة للكثير من المناوشات والمواجهات ولم يجدى تدخل الوجهاء والأعيان مثل السيد/الحسن الميرغنى إلا فى تهدئة الأمور لحين. وبلغ التدهور حدا دفع الخديوى إسماعيل باشا للتدخل بأن وجه جعفر باشا مظهر وكيل الحكمدارية لإخماد الثورة كما كتب شخصيا للضابط السودانى آدم بك العريفى فى هذه الغاية، وكلفه بإنهاء التمرد بأقصى درجات الشدة والحزم.

وكان لتدخل آدم بك العريفى الأثر الحاسم فى إقناع المتمردين بوضع سلاحهم وقد استجابوا له حيث كان ذا نفوذ طيب على أبناء

جنسه من العسكريين ونتيجة لوعوده بالعفو وضمانه الشخصى وضع المتمردون السلاح.

كانت الأحكام التى وجهت لهؤلاء المتمردين شديدة الوقع فقد قسموا إلى ثلاثة مجموعات حسب مشاركتهم وحجمها. فحكم على الفئة الأولى بالإعدام فأوثقوهم وصفوهم على خندق حفر لهم فى سفح جبل مكرام وضربوهم بالرصاص (١) فسقطوا فى الخندق ثم ردم عليهم. وحكم على الفئة الثانية بالحبس المؤبد مع الأشغال الشاقة وتم إعادة استيعاب الفئة الثالثة.

وكان من ذوى الرتب الكبيرة الذين انحازوا للتمرد الصاغ محمد أفندى أبا حظلك فأمر جعفر باشا مظهر بشنقه فشنق وكذلك شنق اليوزباشى بشير أغا السودانى.

وهكذا نرى الإهتمام الشخصى لإسماعيل باشا بالأمر نسبة لتعلقه بأداة الدولة العسكرية وحرصه على إصدار أشد الأحكام على المتمردين فقد جاء فى خطابه لآدم بك العريفى "وقد اتصل بى أن أفرادا من العصاة يخرجون من الإستحكام الى البلاد يعيثون ويفسدون فتعقب هؤلاء وجازهم أشد الجزاء وإذا خرج منهم جماعة كبيرة من مائة نفر إلى مئة وخمسون فجرد عليهم نخبة من فرسان الباشبوزق الذين استصحبتهم من الخرطوم ومن الجند المصرية المنظمة الذين اعتادوا هواء البلاد حتى يظفروا بهم قتلى أو أسرى. أما الأسرى فسلمهم إلى جعفر باشا ليفعل فيهم رأيه. وإنى أعلم بسالتك وحسن سياستك منذ كنت مع المرحوم والدنا فى سوريا. فحقق أمالنا بك وعند انتهاء الثورة أحضر الى مصر

(١) حول تمرد الجهادية السود أرجع : محمد فؤاد شكرى/ الحكم المصرى فى السودان ص ٧١ / نعوم شقير ص ٢٣٧ / مكى شبيكة السودان عبر القرون ص ١٣٦/ مكى شبيكة السودان فى قرن ص ٦٧ / رتشارد هل مصر فى السودان ص ١١٢/ إبراهيم باشا فوزى السودان بين يدى غردون وكتشنر الجزء الأول ص٦٧.

والسلام."

ونلمس هنا الإهتمام الشخصى منه بتفاصيل إخماد الثورة فى أدق التفاصيل التاكتيكية كما نلمس الوعد المتضمن بحسن الجزاء للعريفى حال نجاحه فى مهمته، وبالفعل ذهب آدم العريفى بعد ذلك إلى مصر حيث أنعم عليه إسماعيل باشا برتبة اللواء والنيشان المجيدى الثانى.

٢ / تمرد صباحي وإعدامه

من الحركات الشهيرة التى أغضت مضجع الحكومة حركة صبا حى فى كردفان وقد كانت هذه الحركة أثناء حركة هارون الرشيد فى دارفور وسليمان بن الزبير فى بحر الغزال.

ومما دعانا الى وضعها ضمن التمردات العسكرية، أن صباحى قد كان أحد قادة جيش الزبير الذين رفضوا التسليم لجسي باشا وانفصلوا عن سليمان بن الزبير وهو ينتمى إلى قوات تسمى العساكر غير المنظمة. وهم التشكيل العسكرى الذى أبتدعه الزبير وكون منه جيشه الذى فتح به دارفور، وهم قوات عسكرية تلقت قدرا من التدريب كما أنها مسلحة بالأسلحة النارية ويذكر أن الزبير باشا فى رحلته الى مصر كان من جملة ما أحضره معه للخديوى ١٠٠٠ عسكرى من هؤلاء بسلاحهم الكامل.

فهم فى نهاية الأمر عساكر تم استيعابهم فى قوات الحكومة وتم تنظيمهم على نحو ما فى تشكيلاتها العسكرية. وقد قام غردون فى إجراءاته فى مواجهة سليمان بتحويل ١٠٠٠ منهم إلى السعيد بك وسماه مديراً على شكا وأعطى قسما منهم للنور بك عنقرة وأرسله إلى كبكابية.

أما عن صباحى فإنه بعد إنفصاله عن جيش سليمان اصطحب ٤٠٠ رجلا وأغار على الأضية فى كردفان وقتل مأمورها فعلم غردون بالأمر

فأرسل جردة فى مطاردته وأتوا به أسيرا فحوكم فى مجلس عسكرى وحكم عليه بالإعدام فى مارس ١٨٧٩م (٢).

٣ / عصيان حامية بارا ١٨٨٢ وإعدام ستة من الفور.

كان عدد كبير من أفراد الحامية المرابطة فى بارا بقيادة سلاطين من الفور كما كان هناك جنود مصريين وقد بلغهم خبر الثورة العرابية فى مصر وإخراج الخديوى منها لمصادقته النصارى فسرت روح التمرد بينهم وزاد على ذلك خبر سقوط الأبيض فسرت روح التمرد فى الحامية.

ويبدو أن الفور الموجودين فى الحامية قد قرروا الفرار والانضمام الى الأمير دود بنقة الذى خلف الأمير هارون بعد قتله وجاهروا بالعصيان فأمر سلاطين بالقبض على ستة من قادتهم ومحاكمتهم بمجلس عسكرى فحكم المجلس بإعدامهم وصدقه سلاطين فقتلوا (٣).

٤ / إعدام السعيد باشا الجيعانى وحسين باشا الشلالى مارس ١٨٨٤.

كان السعيد باشا الجيعانى وحسين باشا الشلالى من الضباط السودانيين العظام أثناء حصار الخرطوم. وكان الأنصار قد احتلوا المنطقة حوالى الحلفاية فصمم غردون على طردهم وتمكين حامية الشايقية المعسكرة فى الحلفاية من الإنضمام لحامية الخرطوم، فجهز غردون جيشا مكونا من ٤٠٠٠ رجل وجعل قيادته لسعيد باشا الجيعانى ووكيله حسين باشا فخرجا من سراى الشرق وسارا نحو الحلفاية وعندما صار الأنصار عند مرمي البنادق أحجم المذكوران عن إعطاء أمر بإطلاق النار وعندما قام ملازم الطبجية بإطلاق المدافع منعه حسين باشا بل وقتله وأمر سعيد باشا البروجى بضرب نوبة الرجعة وامتنع البروجى فقتله أيضا. وهكذا

---

(٢) نعوم شقير ص ٣٠٤/ محمد فؤاد شكرى الحكم المصرى في السودان ص ٢١٩
(٣) سلاطين باشا السيف والنار ص ٧١ / نعوم شقير ص ٤٠٥.

تسبب السعيد وحسين فى هزيمة الحامية وكان غردون يشاهد الموقف من السراى فأرسل ستيوارت بعد هزيمة العساكر ليتحقق من الأمر فأخبروه تلغرافيا بتآمر السعيد وحسين فأمر بإحضارهما وشكل مجلس عسكرى برئاسة فرج باشا الزينى لمحاكمتهما فحكم المجلس عليهما بالإعدام فقتلا (٤).

ب/ تمردات غير العسكريين.

ونقصد بهؤلاء الذين دخلوا فى خدمة الحكومة ولسبب من الأسباب اختلفوا معها وترتب على ذلك الإصطدام بالسلطات فأنفذت فيهم أحكاما بالإعدام أوقامت بقتلهم واخترنا أن نفرد لهم مبحثا لاختلاف طبيعة تبعيتهم للحكومة عن طبيعة تبعية العسكريين لها بطبيعة نوع الخدمات التى يؤدونها . وهؤلاء المدنيين هم من الشيوخ الذين إوكلت لهم السلطات وظائف معينة ذات صلةباستقرار السلطة وأعمالها . وأرتكز تعيينهم على ما كان بين أيديهم فى السابق من مناطق نفوذ موروثة قبل الغزو . ونتناول هنا ما نقلته المصادر من الإعدامات التى طالت هذه الفئة من السكان .

١/ إعدام الشيخ خليفة بن الحاج العبادى: ١٨٢٨ (٥).

الشيخ خليفة بن الحاج العبادى من زعماء العبابدة المرموقين. وقد كان للعبابدة تاريخيا السيطرة على طريق القوافل الممتد من مصر عبر الصحراء الى سنار وكانوا يقومون بهذه المهمة - مهمة تأمين القوافل-

(٤) مكى شبيكة السودان فى قرن ص ٢٠٦ / ب. م. هولت ص ٩٠ / نعوم شقير ص ٤٤٧ .

(٥) نعوم شقير ص ٢١٥ / كاتب الشونة ص ١٠٧ / تاريخ ملوك السودان ص ٢٨/ قاموس رتشارد هل ص ٢٠٠ / هامش على تخوم العالم الإسلامى الجزء الأول نقلا عن من زوايا التاريخ السودانى ص ١٠٥ .

مقابل مكوث متعارف عليها بينهم وبين التجار. وعند الغزو تولى الشيخ خليفة ورجاله عملية نقل المؤن والعتاد من أسوان إلى سنار وقد منح نظير خدماته حق وامتياز ١٠٪ من قيمة البضائع المنقولة عبر الصحراء النوبية مقابل استمرار خدمات تأمين القوافل التى يؤديها.

وتنقل المصادر المعاصرة صورة غامضة عن تمرد الشيخ خليفة وقتله فيورد كاتب الشونة " .. وحصل من الشيخ خليفة ما حصل من نزاع العساكر، وأرسلوا هم يعلموا بذلك ولى النعم خورشيد باشا، فتوجه إليهم بالمراكب مملوءة عساكر جهادية فوجد خليفة قد قتل ." ولا يزيد (تاريخ ملوك السودان) عن ذلك.

لكن فيما يبدو أن بداية الإختلاف مع الحكومة تتعلق بضريبة ١٠٪ من قيمة البضائع المذكورة إذ كان عباس أغا حاكما لبربر ويرى أن هذه النسبة عالية وساوم خليفة فى انقاصها الى ثلاثة ريالات عن الجمل المحمل وقد رفض خليفة ذلك رفضا باتا، وأغلق الطريق مما أغضب الحاكم. وقد حضر خليفة الى بربر للمفاوضة فى هذا الأمر وتدهور الأمر بينه وبين الحاكم. وفى هذا الإثناء التجأ الى خليفة رجل بشارى قاطع طريق مطلوب من الحكومة فى عدة جرائم فأواه خليفة حسب التقاليد العربية فأنتهز حاكم بربر هذه الفرصة وقام بمحاصرة خليفة ورجاله وأحرقهم داخل مخزن كانوا يقضون الليل فيه. ويروى راوية العبابدة حسن أحمدحسين خليفة العبادي أنه قد قتل مع خليفة مئة واثنان وثلاثون من رجاله.

ويبدو أن السلطة قد قررت أصلا التخلص من خليفة وذلك بدليل الحشود التى حشدها خورشيد للقضاء عليه والتى وصلت بربر بعد أن قتل خليفة.

٢ / إعدام رجب ود بشير الغول وكاتبه القبطى ١٨٣٦ (٦).

نستنتج من الخطبة التى ألقاها رجب ود بشير الغول قبل إعدامه بلحظات عن طريق الخازوق بأنه ثار ضد مظالم الضرائب والإجراءات التعسفية فى جمعها .فقد واجه مصيره بشجاعة كما أشار كاتب " على تخوم العالم الإسلامي" وناشد الناس الإطاحة بحكم الأتراك البغيض.

وكان رجب شيخ من شيوخ الحمدة المعروفين باسم ناس أبوجن وهم فرع من فروع عرب رفاعة ويرعون مواشيهم فى منطقة العطيش جنوب البطانة. وقد خصصت الحكومة كاتباً وعدداً من الدفاتر لكل شيخ قبيلة لأغراض جمع الضرائب. وقد شارك رجب وعضد تمرده كاتبا قبطيا خصصته الحكومة له.

وقد استعان رجب فى تمرده بالأحباش واتصل بكنفو الحاكم الحبشى فى غندار لكن استطاعت قوات الحكومة أن تهزمه فلجأ الى الحاكم المذكور ومكث عدة أشهر فى الحبشة. ولكن خورشيد أوعز لأحد رجال كنفو بتسليم رجب مقابل قدر من المال وبالفعل سلم رجب للحكومة وقامت بإعدامه بالرفع على الخازوق بعد أن ودع أهله وأقاربه.

أما كاتبه القبطى فقد قبض عليه أيضا وشنق فى اليوم التالى. وقد تقرر شنقه لكونه قبطيا لا يستحق شرف الموت بالخازوق. وقد عرفت عائلة ود بشير الغول بتمرد أخر حيث تمرد شقيقه أبو الريش بشير الغول بعد ذلك بسنوات قليلة وذلك عندما قرر أحمد باشا بأن يدفع أبو الريش ضعف ما قدمه من ضريبة عن منطقته فرفض ذلك واستعان بعصابة مشهورة تعمل على مسافة قريبة من الحدود الحبشية وأوقع بكاشف المنطقة ورجاله فى معركة على الرغم من وجود الأسلحة النارية

(٦) على تخوم العالم الإسلامى الجزء الأول ص ٥٩ / كاتب الشونة ص ١١٩ / تاريخ ملوك السودان ص ٣١ / نعوم شقير ص ٢١٨ .

ففر الكاشف لكن بعد الإمدادات اللازمة من أحمد باشا تمكنت الحكومة من هزيمته. خاصة وأن أبو الريش ورجاله انشغلوا بعد انتصارهم بتحريض الناس على الحكومة دون أن يتخذوا خطوات عسكرية وأمهلوا الحكومة فى جمع أطرافها وبالتالى قمعهم وتشتيتهم.

وفى نهاية الأمر اضطر أبو الريش للاستسلام فأتى على جواده منفردا إلى معسكر الباشا أملا فى عتق أفراد أسرته الذين تم استرقاقهم وبيعهم. فعفى عنه الباشا بعد وساطة الشيخ أحمد أبو سن وبعض الشيوخ (٧).

٣/ إعدام أحد الشيوخ بسبب الضرائب :

كان من الواضح أن الضرائب الباهظة قد تسببت فى تمرد العديد من شيوخ القبائل الذين استعانت بهم الحكومة فى جمعها . وقد جرّ عدم المعقولية فى تقديرها الكثير من المآسى للأهالى ودفع شيوخهم الواقفين والعالمين بقدراتهم المالية للإنحياز الى جانبهم ضد الحكومة على الرغم من امتيازات الشياخة علي الخطوط والاقسام.

ويبدو أن الشيوخ كانوا يلجأون الي الاحتجاج السلمى فى بداية الأمر ويحاولون بالطرق السلمية فتح عيون الحكومة على مساوئ النظام الضريبى. ومن ضمن ذلك أن اضطر الشيخ رجب إدريس عدلان عام ١٨٦١ الى الإحتجاج لدى الوالى سعيد باشا شخصيا متجاوزا السلطات المحلية ومطالبا بإعادة النظر فى طريقة جمع الضرائب من أهل مشيخته فى جبال الفونج (٨).

لكن يبدو أن عدم الاستجابة يدفع للثورة واشعال نار التمرد. فيورد كاتب على تخوم العالم الإسلامى الجزء الثانى فى يومياته بتاريخ

---

(٧) على تخوم العالم الإسلامى من الجزء الأول ص ١٥٠ .

(٨) قاموس رتشارد هل ص ٢١٤ بالأنجليزية .

١٩/ سبتمبر/ ١٨٣٩ ((هرب شيخ قرية كنور التى تقع جنوب بربر بسبب الضرائب الباهظة فأرسل المأمور فى الحال بعض الخيالة فاشتبكوا مع العرب ونتج عن ذلك موت رجلين ولم يستطع الخفير أن يقبض أي شخص باستثناء نساء الشيخ.)) ص ١٢٢

وتورد نفس اليوميات يوم ٥ أكتوبر ١٨٣٩ ((قبض أحد الشيوخ الذى ترك منصبه بسبب الضرائب وشنقه الباشا اليوم فى السوق هو وأحد الكتبة الأقباط. وخير القبطى بين الموت أو اعتناق الإسلام فيعفى فاختار الموت.))ص ١٢٢ وللأسف لم تحفظ المصادر اسم الشيخ المذكور إلا أنه يبدو أن هذه الحالة تكررت عدة مرات ويبدو أن علاج الحكومة الوحيد لمثل هذه التمردات كان الإعدام.

ويتضح جليا من العرض السابق أن الحكومة لم تكن تتسامح البتة مع أى خلل يصيب جهازها الذى أخطته أو أحد روافده سواء فى جانب العسكريين أو الموظفين المدنيين أن جاز لنا التعبير. وكانت تنظر لهذه التمردات التى تهدد أداءها نظرة خاصة تتلخص فى سرعة الحسم وعنفه دون أى تردد أو إمهال.

لكن نلاحظ أن تمردات العسكريين قد حظيت ببعض المعاملة ذات الطابع القانونى ويظهر ذلك فى اقرار نظام المجالس العسكرية والمحاكمات العسكرية.

ويبدو أن ذلك يرجع إلى طبيعة خضوع العسكريين لأنظمة ولوائح الجيش المصرى وما تكفله من حقوق لرفقاء السلاح.

٢ / إعدامات فقهاء الطرق الصوفية

من الفئات التى حرصت سلطة الحكومة التركية على عدم تفويت فرصة التنكيل بها فئة فقهاء ورجالات الطرق الصوفية، وذلك يعبر عن

وعى الحكومة بخطورتهم والدور الذي كانوا يلعبونه أيام السلطنة الزرقاء فقد كانت هذه الفئة مهابة حتى من قبل السلاطين والوزراء . وكانت ملجأ للشعب عند وقوع المظالم عليه فكانت شفاعتهم الشهيرة للمظاليم، وجرأتهم فى مواجهة الظلم ومواجهة الحكام به ونقل فى هذا الشأن الكثير فى طبقات ود ضيف الله مما لا يسع المجال لذكره.

وعت السلطة هذا الدور الخطر منذ أيامها الأولى وعلمت أن مثل هؤلاء الرجال يشكلون مركزا لتجمع المعارضة وبما لهم من نفوذ روحى يمكنهم أن يقودوا عصيانات وتمردات لا تستطيع السيطرة عليها ، خاصة فى نزعتهم الطبيعية فى مناهضة السلطان والجور. ولعل اهتمام محمد على باشا بإرسال ثلاثة من علماء المذاهب يمثلون المذهب المالكى والشافعي والحنفى يشير الى رغبته فى خلق تيار موازى يضعف من شأن المتصوفة. وقد تأكد هذا فيما بعد بما تم انشاؤه من أجهزة القضاء والافتاء والمجالس وتقريب العلماء على رجال التصوف. فلم يكن ارسال محمد على لرجال المذاهب الثلاثة لمجرد اقناع الوطنيين بالحكم الجديد وكان من الممكن من أجل هذه الغاية ارسال خيرة المتصوفة الذين تزخر بهم مصر فى ذاك الزمان.

وهكذا نجد أن هذه الفئة قد نالت نصيبا وافرا من عنف السلطة ونعرض فيا يلى لبعض اعداماتهم وتصفياتهم.

أ / قتل الفقيه محمد ولد عبد العليم:

عندما تسامع الناس خبر حرق اسماعيل باشا ، ذكر كاتب الشونة ((.. أنه اجتمعت الوفود والجموع من الفلاحين بعبود وطمعوا فى نيل المقصود وسول لهم الشيطان وغرهم بعض الفقراء - المقصود بالفقراء هنا المتصوفة - ولم يكن إلا ما أراد الله فأقاموا بها مجتمعين وللأباعد مراسلين، فبعث عليهم عند ذلك الكخيدار سرية من وادمدنى وخرجوا

بالليل فأصبحوا معهم بالبلد فهربوا منهم ولم تغن الجموع والعدد فقتل منهم الولى الصالح محمد ولد عبود ومن تم أجله ونهب العساكر الحلة وخربوها .)) . ص٩١

يتضح من حديث كاتب الشونة أن الفقراء لعبوا دورا واضحا فى تأليب الناس وأن قرية عبود التى هى مركز دينى كانت بؤرة تجمع للأنتفاضة وقضت السلطة على الخليفة محمد ود عدلان خليفة القرية ولم تكتف بذلك بل قامت بنهب الحلة وتخريبها .

ب / قتل الشيخ صالح ولد بان النقا :

وفى وقعة مكدور وهى الموقع الذى لحق فيه الدفتردار الملك مساعد ذكر كاتب الشونة : " فقتلهم مقتلة عظيمة بذلك المحل وأسر رجالا ونساء وفرقهم بالجزيرة وقتل فيها الشيخ صالح ولد بان النقا ، وانتشرت كتبهم وأموالهم وتفرقت فى الجزيرة." ص ٩٤ .

ويبدو أنه بالإضافة لاستهداف أرواح الفقهاء أيضا استهدفت كتبهم وآثارهم . وأشار كاتب الشونة فى عدة مواضع لضياع الكتب.

ج / قتل الفقيه السيد ولد زين العابدين :

قتل فى مطاردة السلطة لحسن ود رجب (٩).

د / الفقيه الأرباب ود الكامل :

أعدمه عثمان أغا الخربوطلى وكيل عثمان بك فى الخرطوم وقد قتل بقذيفة المدفع وكان ذلك عام ١٨٢٥ (١٠).

وفى النهاية صدق حدس السلطة فى التوجس من رجال الطرق الصوفية فقد نبعت المقاومة الأساسية للنظام والثورة والإطاحة بها من بين رجالها . إذ كان الإمام محمد أحمد المهدى قد بدأ نفوذه الروحى وثقة

(٩) عبد الله على ابراهيم الصراع بين المهدى والعلماء ص ٥ .
(١٠) نعوم شقير ص ٢١٢ / كاتب الشونة : ص ٩٧ .

الناس به منذ أن كان خليفة سماني . وأعتمدت المهدية على الإرث الصوفي في البلاد .

٣ / إعدامات الأسرى

تطرقنا في تناولنا لعنف الحكام وميلهم للإبادة الجماعية لمصير الأسري في حملات الدفتردار الانتقامية وإبادة ثلاثة ألاف منهم في المتمة . وأشرنا لموت إعداد من أسرى واقعة مكدور بالجوع والعطش وكذلك أسرى واقعة النصوب، كما أشرنا من قبل لأفعال الباشا الجزار والمنكلي بأسري إقليم التاكا . ولا نريد التطرق لحالات الاسترقاق الجماعية باعتبار خروجها عن دائرة البحث. لكن وجدنا لازما علينا أن نعرض رصد لبعض النماذج في إعدام الأسرى تحت عنوان منفصل حتي تتكامل الفكرة عن هذا الإتجاه في عنف السلطة .

أ / إعدام عبد الله نقل : أسر في مطاردة حسن ود رجب قاتل الوزير عدلان، وقد قتل في سنار بالخازوق (١١) .

ب / إعدام أسرى انتفاضة أهل التاكا ١٨٤٤ :

إنتفض أهل التاكا عام ١٨٤٤ للمظالم التي وقعت عليهم من الموظفين الأتراك، وكان أحمد باشا المنكلي قد حضر من مصر خلفاً لأحمد باشا أبو ودان فجرد جيشا كبيرا وسار به لقمع الإنتفاضة، وأصطحب معه من السودانيين الأرباب محمد دفع الله والشيخ عبد القادر والشيخ أحمد أبو سن كبير الشكرية . ونكل بأهل التاكا وقمع الإنتفاضة وأحضر معه الى الخرطوم أربعين أسيرا من قادة الإنتفاضة وضرب أعناقهم جميعا (١٢) .

---

(١١) كاتب الشونة ص ٨٨ .

(١٢) نعوم شقير ص ٢٢٣ / تاريخ ملوك السودان ص ٣٤ / مكي شبيكة السودان عبر القرون ص ١١٦ / مكي شبيكة السودان في قرن ص ٤٩ / رتشارد هل مصر في السودان ص ٨١ .

جـ / مئتان من الأسري الدينكا يموتون متأثرين بجراحهم :

في غارات خورشيد في حملات الاسترقاق توجه الى منطقة الدينكا وكان يصحب معه الشيخ سليمان من قبيلة أبي روف وواجه خورشيد مقاومة عنيفة من الدينكا، وتكبد الجانبان الخسائر في معركة عنيفة ووقع في الأسرى مئتين من الدينكا مات معظمهم بجراح الحراب والأسلحة النارية [١٣].

د / أسر الشيخ عبد الباسط الجمرى وشنقه

ولى المهدى على عرب الدويم الشيخ عبد الباسط الجمرى أحد مشايخ الطريقة السمانية وأمره بحصار الدويم فقام بحصارها، فأرسل عبد القادر باشا جيكلر من الخرطوم

وهاجم المحاصرين وشتت جموعهم فكان أن وقع الشيخ عبد الباسط في الأسر أثناء المواجهات فأحضره جيكلر الى الخرطوم وأمر عبد القادر باشا بشنقه فنفذ فيه الحكم في نوفمبر ١٨٨٢ [١٤].

هـ / إعدام ملك الشلك كوارثك

لم تكن علاقة ملك الشلك كوارثك طيبة مع الحكومة وفيما يبدو كان متمسكا باستقلاله فهجمت عليه قوة وأسرته حيث أعدم في فاشودة [١٥].

---

(١٣) على تخوم العالم الإسلامي الجزء الأول ص ٥٠ .

(١٤) نعوم شقير ص ٣٦٠ .

(١٥) السودان المعاصر د . زاهر رياض ص ٤٧ .

الفصل الثالث

المثلة

ونعنى بالمثلة هنا التمثيل بجسد الميت وتغيير هيئته بالتشويه بقطع بعض أعضائه وبترها عن بقية الجسد ويسع المعنى أيضاً فصل الرأس عن الجسد بعد القتل أو تنفيذ حكم الاعدام وتعليقه على رأس عود أو حربة وعرضه بعض الوقت، كما تشمل صلب جسد من اعدم وعرضه لفترة قبل مواراته الثرى أو تركه فى العراء دون دفن.

وهذه الممارسة موغلة فى القدم وشهدها التاريخ فى فترات مبكرة من نشأة البشرية واستمرت حتى السنوات الأخيرة من القرن الماضى وتعمد التكوينات السلطوية التى تمارسها فى المقام الأول إلى بث الرعب والارهاب فى نفوس خصومها المحتملين وضرب المثال والعبرة لمن تسول له نفسه مناهضة الكيان الحاكم. كما تحمل قدر عالى من التشفى وروح الانتقام . فهى فى نهاية الأمر تأكيد على سلطان الحكومة على جسد الميت حتى بعد موته وانقضاء اجله.

وبدأ تاريخ المثلة فى الحكم التركى مبكرا منذ لحظات الغزو الاولى حيث أعلن اسماعيل باشا بعد انتهاء معركة كورتى مع الشايقية عن مكافأة قدرها خمسون جنيها لكل من يحضر له اذنين لاى شايقى قتل فى الحرب حتى يرسل ما جمعه من الاذان المصلمة إلى والده محمد على باشا شاهدا على نجاحه الباهر (١).

فتهافت عليهم الاتراك يقطعون آذانهم فى وحشية تشمئز لها النفوس. وقال وادنجتون الذى اتى إلى ساحة القتال بعد أنتهاء المعركة

---

(١) الشايقية تأليف د. نكولز ترجمة د. عبدالمجيد عابدين ص ٥١. من كتاب قبائل من السودان الاوسط والسودان الغربى.

قال أن وجوه القتلى كانت ترتسم عليها سيماء الغضب أكثر مما كانت ترتسم سيماء الرعب، .. وآرسلت للقاهرة ثلاثة آلاف اذن بشرية نزعت من الاموات والأحياء على السواء (٢).

ويقول كايو الفرنسى وهو من مرافقى الحملة ومكلف من قبل محمد على باشا بالبحث عن مناجم الذهب «وحاول الباشا أن يضع حدا لتعدى هؤلاء المجانين ولكن من غير طائل، ولا غرو أن كان الباشا مسئولا عن ذلك فهو الذى دفعهم أول الأمر للتمادى فى ذلك حين أعلن لهم عن مكافاته لكل من يأتى بآذان الشايقية مصلمة. فاذا كان بعض الاتراك قد دفعتهم مشاعر انسانية فوهبوا الحياة لبعض من هؤلاء التاعسين عاثرى الحظ، فلم تبلغ بهم الاريحية إلى الحد الذى جعلهم يدعون الاذنين ملكا لصاحبها. فقد سمعت رجلا يونانيا كان طبيب الباشا يفتخر بأنه اهدى إلى أحد الجنود أذنى فتاة كان قد وجدها مختبئة فى حقل من الذرة ويعلن أ أنه ابقى على حياتها لانه شعر نحوها بعاطفة وأنه ما كان يشعر بهذه العاطفة ازاء النساء الاخر اللائى يكبرنها سنا ولذلك كان يذبحهن دون تردد (٣) وهكذا لم تنج النساء من حملة المثلة « فان نصف الاهالى الذين التقينا بهم وكثير منهم من النساء كانوا محرومين أما من احدى الاذنين أو من كلتيهما ، وكان اخرون منهم قد قطعت أطرافهم».

ويؤيد جيوفانى فيناتى الذى صحب الحملة ما رواه كايو فى ملاحظاته تأييدا كاملا وجيوفانى جندى ايطالى التحق بالجيش التركى وكان من بين المستشارين الذين استعان بهم الباشا فى تنظيم جيشه ، وكان يتكلم العربية بطلاقة واعتنق الاسلام وسمى نفسه الحاج محمد.

---

(٢) الان مورهيد النيل الازرق تعريب د. ابراهيم عباس ابو الريش ص ٢٩٣ - ٢٩٤.
(٣) الشايقية ودكولز ترجمة عبدالمجيد عابدين ص ٥١ - ٥٢.

دشن اسماعيل باشا تقليد المثلة فى السودان وقد استمر طوال سنوات الحكم التركى حتى نهايته وفيما يلى نستعرض ابرز الحالات التى حفظتها المصادر (٤).

١ / التمثيل بجسد الشريف احمد طه : ٦٠ / مايو / ١٨٨٢ :

الشريف أحمد طه من مشايخ الطريقة السمانية شرقى النيل الازرق بين أبى حراز ورفاعة وكان من الذين كاتبهم الامام محمد أحمد المهدى، وقد استجاب له وقام بتأليب الناس فى منطقته واستطاع أن يجمع حوله الكثير من البطاحين والجعلية والشكرية والدناقلة وغيرهم من سكان منطقته وأعلن راية الثورة .

وكان فى ذلك الحين جيكلر باشا وكيلا للحكمدار ومتوليا أمر قمع الثورة فى منطقة سنار والجزيرة والنيل الازرق فأرسل عليه الملك يوسف من سناجق الشايقية ومعه مئة رجل قضى عليهم أحمد طه الا قليلا منهم.

وهزم تجريدة أخرى أتت نجدة لجيكلر من القلابات وغنم مدفعا كانوا يحملونه معهم فآرسل جيكلر خبرا لعوض الكريم أبو سن فحضر بجيش كبير من أعوانه وكتب إلى الشريف يقول «أنى انصح لك أن تكف عن العداء وتحضر مسلما فيعفى عنك والا فانج بنفسك واحقن دمك لأنك شريف ولا نريد قتلك فاذا لم تفعل هذا ولا ذاك فلا تلم الا نفسك.» فأجابه الشريف «دع عنك النصح فانى أوقدت نارا وأريد أن أتدفأ بها. »فاجتمعت عليه عساكر جيكلر باشا والشكرية فى معركة حامية الوطيس إلى أن استشهد بعد أن تراكمت عليه اجساد انصاره.

حرق العساكر حلة الشريف بالنار وحملوا جثته على جمل وأتوا بها إلى أبى حراز فقطع جيكلر رأسه وعلقه على عود وأرسله إلى

(٤) المرجع السابق ص ٥٣ .

الخرطوم فعلق فيها أياماً (٥).

٢ / قطع رأس الفقيه محمد زين ٢٥ /مايو / ١٨٨٢.

أعلن الثورة فى أبى شوكة الفقيه محمد زين وهو من التكارنة وقد نادى باسم المهدى جامعا حوله جموعا كثيرة من عربان رفاعة الهوى وأخذ يستعد للزحف على سنار.

ولا يزال جيكلر رئيس مصلحة التلغرافات السودانية السابق ومتولى وكالة الحكمدارية مترصدا لتحركات الثوار فى المنطقة فأرسل على الفقيه محمد زين نحو الف رجل من السوارى من العساكر المنظمة والباشبوذق بقيادة سر سوارى على أغا فقتله فى ابى شوكة وقطع رأسه وعاد به إلى سنار (٦).

٣ / اعدام عدد من أنصار المهدى عن طريق بتر الأعضاء :

بعد أن كادت حملة راشد بك أيمن أن تباغت المهدى وأنصاره في قدير دون أن يشعر أحد بتحركها لولا انذار رابحة الكنانية ونضيرة الملك آدم دبالو اعتمد الامام محمد أحمد المهدى أرسال الطلائع وجماعات الاستكشاف الصغيرة لرصد تحركات الحكومة.

وكانت مجموعة صغيرة تتكون من عدد من الأنصار ترابط فى جبل فنقر مع الملك تيفرا لانذار المهدى بأى تحركات حكومية وكان الملك تيفرا قد عاهد المهدى على نصرته على الحكومة ومد يد العون، وعلى هذا الأساس أستقرت معه هذه المجموعة كمحطة أنذار مبكر للمهدى .

فى هذه الأونة أخذ جيكلر باشا يحشد جنود الحكومة فى الكوة وعقد لوائها ليوسف باشا الشلالى وسار الشلالى قاصدا قدير وعلم به المهدى وعند وصول طليعة جيش الشلالى بقيادةطه أبو صدر رئيس

(٥) نعوم شقير ٣٥٤ - ٣٥٥ / مكي شبيكة السودان في قرن ص ١٥٧ / السودان بين يدي غردون وكتشنر الجزء الأول ص ٩٧ .

(٦) نعوم شقير ص ٣٥٦ / مكي شبيكة السودان في قرن ص ١٥٧ .

الخطرية قام الملك تيفرا بتسليمه الأنصار الموجودين معه خائنا لعهده فقبض عليهم .

حكم الشلالى عليهم بالأعدام بطريقة بتر أعضائهم عضوا عضوا أمام آنظار جنوده وكان ذلك لشدة مخاطبتهم له عند استجوابهم. وقام بالفعل بتنفيذ الحكم الشاذ على الرغم من اعتراضات القاضى الذى كان يصحب الحملة وكبار رجال الشلالى (٧).

وواجه الأنصار مصيرهم بشجاعة منقطعة النظير ، وكانت طريقة القتل بطرحهم على جذع شجرة وتقطيع أوصالهم بفأس قطعة قطعة . ويظهر من رد المهدى على خطاب الشلالى أن عدد الذين أعدموا بهذه الطريقة البشعة أربعة أنصار . فقد قال الامام وقولكم أنكم ضبطتم أربعة من انفار الطليعة واذ يتموهم فاعلموا أنه قد أوذى قبلهم أصحاب الرسول عليه أفضل السلام . بالسجن والضرب والقتل وجميع أنواع الأذى كبلال وحبيب وأمثالهم فليس لهم الا الثواب ولابد أن يجازيكم الله على ما فعلتم بهم .) وينقل « جهاد فى سبيل الله » أسماء ثلاثة منهم وهم أدريس حمد واللحوى والدود مولى تقراوى.

٤ / اعدام رسولى المهدى لحامية الأبيض وعرضهم على سورها (٨).

كلف الامام المهدى أثنين من الأنصار وهما محمد المغربى وود جلى الزيادابى وأرسلهم بكتابين إلى الأبيض أحدهما لسعيد باشا مدير الأبيض ورؤساء الجيش ، والآخر إلى سكان المدينة من علماء وأعيان وتجار وغيرهم ودخلا المدينة بكامل سلاحهم وسلما الكتابين ومكث الرسولان بعد تسليم الكتابين ربما فى أنتظار الرد عليهم فاجتمع حولهم

(٧) مكى شبيكة السودان عبر القرون ص ٢٢٣ / السودان فى قرن ص ١٥٢/ جهاد فى سبيل الله ص ٢٨.

(٨) نعوم شقير ص ٣٧٠ / جهاد فى سبيل الله ص ٤٠/ ابراهيم فوزى الجزء الأول ص ١٠٨ .

عدد من العساكر والأهالى ودارت بينهم مناظرة كلامية حادة وتصادف أن خرج سعيد باشا من أجتماعه بكبار الضباط فى الحامية وأعيان البلد فسمع طرفا من الحديث فأغتاظ هو وبعض الضباط من جرأة الرجلين وهما فى عقر دار الحكومة ، فطلبوا من العلماء الافتاء بقتلهم فأبوا قائلين أن الشرع لا يسمح بذلك فأصر الضباط خصوصا اسكندر بك قائم مقام العساكر فشنقا على الزاوية الجنوبية الشرقية من السور .

ويبدو من شنقهم على السور أنه قصد أن يعلقا هكذا بعض الوقت لأرهاب أنصار المهدى خارج الأسوار وقد عبر نعوم شقير عن سبب القتل: "وقد أراد الضباط بقتل الرسولين آن يستخفوا بقوة المهدى ويلقوا الرعب فى قلوب الاهلين الذين عولوا على اللحوق به" .

ولا شك أن أعدام الرسول تستنكره كل الشرائع وقد جعلت التقاليد العسكرية لهم حصانة معترف بها بين اعتى الخصوم عداء ، لكن يبدو أن الشجاعة الفائقة لهذين الرسولين كانت مستفزة لضباط لم يكن فى تصورهم أن يرفع أعراب اجلاف مسلحين بالسيوف والحراب أعينهم أمام حكومة مدججة بالسلاح النارى على هذا النحو الجرئ .

٥ / قطع رؤوس الشريف محمود الحاج وأحمد الهدى وأثنين من الأنصار سبتمبر ١٨٨٤(٩).

كان مدير دنقلا مصطفى باشا ياور الشركسى قد أجاب على كتاب المهدى بتصديقه ورد عليه بما يرضيه وأكرم أهله فى دنقلا بقصد مخادعته حتى يأمن أنتشار الثورة فى أقليمه . وقد كان ينتهز أى فرصة لضرب الأنصار فى حدود مديريته وألحق بهم أضرارا جسيمة فى عدة وقائع. وقد تحرك الشيخ الهدى بعد سقوط بربر إلى ديار الشايقية مؤلباً لهم على الثورة وهاجم طابية صغيرة فى الدبة يعسكر فيها جودت بك

(٩) نعوم شقير ص ٤٦٧ / ابراهيم فوزى السودان بين يدى غردون وكتشنر الجزء الثانى ص ٣٧.

وكيل المديرية فكبده الوكيل خسائر فادحة ووصل بعد الواقعة مصطفى ياور وطارد الهدى حتى بلاد المناصير .

أرسل المهدى محمود ود الحاج من أقاربه مع نفر من أصحابه على أن يكون عاملا على دنقلا وكتب للمهدى بالأنضمام إليه . فحضر محمود ود الحاج ونزل فى أم بليلة على النيل قرب دنقلا وكتب إلى مصطفى يقول له: (قم واحضر لمقابلتنا بابى قس ومنها نتوجه إلى المهدى لمقابلته لاجل البيعة والتأدب بآداب المهدية .) ثم اجتمع على الهدى فى كورتى .

فما كان من مصطفى الا أن جمع عساكره وتوجه بالوابور إلى الدبة وأخذ عساكرها وهاجم الأنصار بالقرب من كورتى وقتل محمود ود الهدى وأعداد من الأنصار. وقام بقطع رأس محمود ود الهدى وأحد الأنصار المغاربة قيل أنه أمير طرابلس الغرب ورجل آخر قيل أنه أمير مصر. وأرسل الرؤوس الأربعة إلى سردار الجيش المصرى بحلفا وسأله أن يرسل رأس أمير طرابلس الغرب إلى السلطان ورؤس الباقين إلى الخديوى.

فكتب إليه السردار يمدح بسالته ويهنئه بالنصر الا أنه أخبره أنه لم تجر عادة هذا العصر فى أرسال مثل هذه العلائم ثم أمر بدفن الرؤوس الأربعة (١٠).

ويبدو أن السير أفلن ود سردار الجيش المصرى متفائلا بخصوص عادة العصر فقد ارتكبت جرائم مشابهة فى نفس الحقبة ونبش أحد أبناء حضارته قبر الامام محمد أحمد المهدى بعد خمسة عشر سنة من حديثه هذا وفعل به ما فعل (١١).

(١٠) نعوم شقير ص ٤٦٧.

(١١) كذلك أعلن الأميرال هيوت عن جائزة قدرها خمسة الاف ريال لمن يأتيه برأس عثمان دقنة لكن بعد صدور الاعلان بثلاثة أيام اتاه أمراً من بريطانيا بالغائه لمخالفته لمبادئ حزب الاحرار ..

الفصل الرابع

جذور التقاليد العقابية فى الحكم التركى

هال السودانيون وسائل العقاب التركية التى نقلت إلى وطنهم وطبقت فى مواطنيهم ويكاد المرء يسمع شهقة كاتب الشونة وهو يسرد أن فلانا قتل بقتلة لم تعهد البلاد مثلها عندما يتحدث عن الخازوق أو المشنقة .

واذا حصرنا وسائل تنفيذ عقوبة الإعدام فى زمن التركية السابقة نجدها كالآتى :

١ / الحد بالسيف

٢ / الإعدام رفعا بالخازوق

٣ / المشنقة

٤ / القتل بقذيفة المدفع

٥ / الإعدام رمياً بالرصاص

٦ / القتل حرقا .

٧ / الاغراق .

بادى ذى بدء نقرر أن ما واجهه شعب السودان فى هذه الحقبة يعد امتدادا للحكم القاسى الذى عانى منه الشعب المصرى تحت سطوة الأتراك والشراكسة والمماليك وأننا نرى أن لفظة الحكم التركى المصرى التى استقر عليها الكُتاب فى وصف نظام الحكم فى السودان فى الفترة من ١٨٢١ إلى ١٨٨٥ غير دقيقة إذ أن الصفوة التى حكمت مصر والسودان فى هذه الحقبة هم الذين يتحدثون التركية من الالبانيين والشركسيين والاكراد والأتراك الأصليين . وإذا رجعنا إلى كشف بأسماء حكمداريى السودان طوال فترة التركية لانجد أسما مصريا واحداً من بين الأربعة وعشرين حكمدارا ، فجميعهم من الشراكسة والأتراك (١).

وعليه نقل هؤلاء تقاليد العقاب العثمانية التركية معهم وسقوا شعب السودان من نفس الكأس الذى سقوه الشعب المصرى ، ولا نجد أبلغ من المؤرخ المصرى العلامة الشيخ عبدالرحمن الجبرتى فى رصده ليوميات القهر تحت نير حكم الاتراك فيقول فى وصف حال الفلاحين تحت نير المظالم «وجفل كثير من الفلاحين وأهالى الأرياف وتركوا أوطانهم وزرعهم وهالهم هذا الواقع لكونه لم يعتادوه ولم يألفوه وباعوا مواشيهم ودفعوا ثمنها فى الذى طلع عليهم فى الزيادات الهائلة وسيعودون مثل الكلاب ويعتادون سلخ الأرهاب» (٢).

كما ينقل الجيرنى حمامات الدم التى أقيمت فى سبيل توطيد السلطة وازاحة الخصوم والعقوبات الجماعية . والتى شملت جز الرؤوس والتمثيل بالجثث والخوزقة والمدافن الجماعية .

ويورد جمال الغيطانى نقلا عن ابن اياس حادثة تعكس ما وصل إليه الحال فى سنة ٩٢٦ هـ وتهمنا هنا فى تصويرها لوسيلة القتل

(١) المجلة التاريخية المصرية ، مايو ، اكتوبر ١٩٤٨ - العدد الأول والثانى المجلد الأول ، حكمدارو السودان ص ٤٢٨ .

(٢) تاريخ عجائب الآثار فى تراجم الأخبار / عبدالرحمن الجبرتى ص الجزء الثالث .

بالخازوق وشيوعها . يقول ابن اياس : « وفيه أشيع أن صبيانا صغارا قعدوا يلعبون فى بعض الحارات فعمل واحدا منهم ملك الأمراء والآخر والى القاهرة ونادرا أن احدا لا يخرج بعد العشاء ، فقام أحد الصغار وخطف عمامة آخر يعبث عليه قبضوا عليه وأحضروه بين يدى الذى جعلوه ملك الأمراء فرسم للذى أقاموه واليا بأن يقبض عليه ويخوزقه فدقوا له عصا فى الأرض واقعدوه عليها غصبا ومنهم من قال أن الصبى مات فى وقته ومنهم من يقول أنه لم يمت ، فلما جرى ذلك تهاربت الصغار إلى حال سبيلهم ، وقد هان القتل فى هذه الأيام حتى عند الصغار » [٣]. وتعكس هذه الحادثة المأساوية كما ذكر ابن اياس مدى هوان القتل بهذه الوسيلة البشعة .

وقد تفنن الطغاة فى أستحداث طرق القتل بالخازوق وأخترع خاير بك طريقة جديدة فى القتل بالخازوق عن طريق أدخال الخازوق فى الأضلاع وكان يسميها (شك الباذنجان) [٤].

ولا يقف القتل على عامة الناس بل يمتد حتى لينال أعيانهم ولأسباب تافهة كما حدث لرضوان كاشف المعروف بالشعراوى والذى كاد أن يطاح برأسه لكونه أغلق باب داره الرئيسى وفتح بابا خلفيا خوفا من غلاغل الفوضى حين أشيع أن محمد على باشا قتل فى الحجاز [٥].

أما عن بدعة القتل بالمدافع فلم يصادفنا فى بحثنا هذا شىء عن تاريخ هذه العقوبة ، ونعتقد - والله اعلم - أنه قد خص بها السودان دون غيره . وصاحب هذه البدعة هو الدفتردار وكان يمارس العدالة

(٣) ملامح القاهرة فى ١٠٠٠ عام جمال الغيطانى ص ٢٠٦ .
(٤) نفسه ص ٢٠٨ .
(٥) تاريخ عجائب الآثار فى تراجم الأخبار / عبدالرحمن الجبرتى / ص ٤٥٥ ج ٣.

بطريقتـه الخاصـة ، حين كـان يسـأل اطراف القـضيـة أن كـانوا يريدون الأحتكام للعدالة الآلهية وكان كمسلمين يردون بالايجاب عندئذ كان يسوقهم إلى القاضى وهو الأسم الذى كان يطلقه على المدفع «كتب ج . أ . سانت جون فى كتابه مصر ومحمد على فصلا أسماه طرائف الدفتردار في ذر ممارساته الوحشية والغريب في الأمر أنه أسماه طرائف» [٦].

والمشنقة لم تعرف فى السودان قبل الآتراك وقد ذكر كاتب الشبونة أول مرة جربت فيها هذه الالة إذ قتل بها الحاج على ود تمساح [٧] وقد كانت شائعة فى مصر فى حكم الأتراك.»

أما المثلة وتعليق الرؤوس فقد كانت شائعة وكان باب زويلة فى القاهرة مكان تعليق الرؤوس حتى أوائل القرن الماضى [٨].

إذن يمكننا القول أن العقوبات التى مورست فى السودان هى امتداد للتقاليد العقابية التى مارسها الأتراك فى الولايات العثمانية وسادت فى حكم مصر ولكن لا يزال السؤال قائما لماذا كل هذا القدر من القسوة ؟؟؟

نرى أن الإجابة تكمن فى الطبيعة الاجتماعية للدولة ، فالدولة التى حكمت يمكن أن نسميها الدولة الجابية ، تتربع على قمة هرمها الاجتماعى طبقة عسكرية من الجباة المدججين بالسلاح لها قاموس عقابى تطبقه ، وهذه الطبقة تستأثر بغلة المجتمع كلها الا قليلا ، ولانها قصيرة النظر وبعيدة عن الإنتاج فهى لا تضع اعتبارا فى كثير من الأحيان للقدر اللازم لحفظ حياة الكائنات التى تقوم بهذا الإنتاج وأستمراره ،

(٦) على تخوم العالم الإسلامى الجزء الأول ص ٤٧ .
(٧) كاتب الشونة .
(٨) ملامح القاهرة ص ١٢٦ .

فتفرض مقاديرا من الخراج يتعذر بواقع الحال اجابتها مما يدفع المنتجين لهجر أدوات أنتاجهم وأراضيهم وأوطانهم هربا بحياتهم حيث أن البقاء فى الأرض مع اجابة مطالب الجباة يعنى الموت جوعا أو تحت سنابك خيولهم ، وان لم تكن الهجرة فلا سبيل غير الصدام واراقة الدماء .

ولقد كان خطاب اسماعيل باشا للشايقية في بداية الغزو مطالبا لهم بتسليم خيولهم وسلاحهم وأن أباه قد أمره أن ينشئ منهم شعبا من الفلاحين لا شعباً من المحاربين كان ذلك بمثابة منفستو النظام الجديد .وقد كانت مطالبه المغالية للمك نمر ملك السعداب فى شندى ورد المك نمر بأن هذه الطلبات غير معقولة ولطم الباشا له وتداعى الاحداث إلى ان حرق اسماعيل. كان ذلك لوحة مصغرة دقيقة التفاصيل لتاريخ مرحلة بأكملها .

ولأن طبيعة النظام هذا تريد أن يستأثر سادته بكل شيء لابد له لكى يستقر فى الحكم من نظام عقابى يتناسب مع مطالبه ، فمثل هذه الطبقة الغير مشاركة فى عملية الإنتاج لا سبيل لبقائها الا بأن تكون مدججة بالسلاح من قمة رأسها لأخمص قدميها .

ولعل مشهد غردون فى عشية سقوط النظام التركى وهو يجمع دفاتر الضرائب على الأطيان فى ساحة عمومية ويضع فوقها السياط والآت التعذيب التى كان يستعملها الحكام واضرام النار فيها ومضة عبقرية يائسة تلخص روح العصر الذى كان يلفظ انفاسه الأخيرة ......

القسم الثانى

الأعدامات والتصفيات الفردية والجماعية في دولة المهدية

الفصل الأول

مصادر التجريم والعقاب فى دولة المهدية

تجاوز قانون الدولة المهدية أحكام الشريعة الإسلامية السنية بإضافة نطاق جديد لدائرة التجريم والعقاب. وهو النطاق المتعلق بالتصديق بالمهدية وأتباع تعاليمها والأنصياع لأوامر وقرارات أولى الأمر فى دولتها. فصارت الأحكام الجنائية العادية تختص بها أحكام الشريعة الإسلامية فى الحدود والقصاص إضافة لاختصاصها بقضايا الأحوال الشخصية بينما صارت أحكام الجرائم السياسية داخلة فى نطاق مبدأ المهدية نفسه. فعدت الامامة والخلافة من بعدها ركنا من أركان الدولة، وإن عدم الإيمان بهما يخرج بمرتكبه من ملة المؤمنين ويوقعه تحت طائلة العقاب.

فيذكر المهدى فى منشور الدعوة فى مطلع أمر المهدية « وحيث الأمر لله والمهدية المنتظرة أرادها الله وأختارها للعبد الفقير محمد أحمد بن السيد عبدالله فيجب التسليم والأنقياد لأمر الله ورسوله وبعد هذا البيان فالمؤمن يؤمن ويصدق لأن المؤمنين هم الذين يؤمنون بالغيب ولاينتظرون لاخبار أحد فمن انتظر بعد ذلك فقد استوجب العقوبة لانه صلى الله عليه وسلم قال : من شك فى مهدتيه فقد كفر بالله ورسوله ثلاثا » [1].

(١) منشورات المهدية / تحقيق أبو سليم ص ٢٧.

وتمضى المناشير فى تحديد مصير المعارضة الداخلية للمهدية ولعل أوضح المناشير بصددها ما أصدره المهدى أثناء حصار الخرطوم « أما بعد فمن بعد قتل الكفرة وفتوح المديريات نرجع على كل من خالف أمرنا نقتله وننفذ أشارته صلى الله عليه وسلم ونحيي دين الله » (٢). وكثير من المناشير ذهبت فى هذا الاتجاه رابطة لفلسفة العقاب بالمصدر الآلهى، فطاعة الله ورسوله بطاعة المهدى وقتل المكذبين بأمر المهدية تنفيذ لاشارة الرسول وأحياء للدين.

وتبدو ملامح هذه الفلسفة العقابية بوضوح أكثر عند خضوع أحد أنصار المهدى لعقوبة من العقوبات ، نتيجة مخالفته لأمر ما حيث يبين المهدى فى مخاطبته للمعاقب المقصد الدينى وراء العقوبة. ولعل رسالة المهدى إلى الملك أدم عمر بعد سجنه نتيجة خلاف مع الخليفة عبدالله ، وقضايا أخرى تبرز هذه الفلسفة العقابية فكتب المهدى للملك عمر يفيده بأن سجنه كان لتصفيته ذاكراً . (فمن كان له نصيب عند الله أتى الله طوعا أو كرها . ولولا ما ظهر عليك الذى ظهر لكنت تروح منطوى على النفاق، أعاذنا الله وأياكم من ذلك ولكن رحمة بك أظهر الله عليك هذا لتزيل عنك ما يشقيك ويفوت عليه النعيم الدائم فأفرح بما كان لك كفارة من الحبس والسجن فإن ذلك خيراً لك فإن الجنة محفوفة بالمكاره والنار محفوفة بالشهوات والعبد المؤمن يؤجر رغم أنفه) (٣).

وفى هذا المعنى خاطب المهدى العديد من المعاقبين مبيناً أن السجن لتصفيتهم وخلاصهم . أمثال الخليفة عبدالله أبى صفية ، وصالح الملك وعبدالله المسلمانى (لبتون بك) وغيرهم . ونلخص رؤيته هذه فى مخاطبته لأدريس حسن الساير الذى كان بمثابة مدير سجن المهدية فقد

(٢) الآثار الكاملة للامام المهدى المجلد الرابع ص ١٨٩ منشور بتاريخ ١٥ ربيع اول ١٣٠٢ هـ الموافق ٣ / يناير / ١٨٨٥.

(٣) الآثار الكاملة للامام المهدى : المجلد الثانى جمع وتحقيق أبو سليم ص ٢٣٨.

كتب إليه يحثه على الرفق بالمساجين ويأمر بأن يقضى المساجين وقتهم بالعبادة لأن القصد من السجن هو الكفارة والدلالة إلى الله [٤].

وكانت نفس الرؤية تمتد لتشمل عقوبات رادعة كالاعدام ولعل ما أشيع بعد اعدام المنة اسماعيل من أن المهدى قال بأن الفكى المنة طهره القتل وعفا عنه يدلل على ذلك [٥].

ويمكننا القول فيما يتعلق بدائرة التجريم والعقاب فى دولة المهدية بأنه قد صار هناك مصدرا جديداً متجاوزاً أحكام الشريعة الإسلامية السنية يطوق المعارضة للمهدية والمناهضة لدولتها ويتكون هذا المصدر من قول المهدى ومبادئه واوامره المبثوثة فى المنشورات والرسائل والقرارات التى تصدر عنه.

ولهذا المصدر رافدا أخر لا يقل عن منبع الأحكام الأول فى مقامه وهو الخليفة عبدالله التعايشى وما يصدر عنه من أوامر وقرارات . وقد أسس المهدى نفسه هذا المصدر فى حياته على أسس متينة ولم يترك مناسبة دون التأكيد عليه فبعد أن ظهر المنافسون للخليفة فى موقعه يصدر المهدى منشوراً عن مقام الخليفة عبدالله ووظيفته ويقول: (فحيث علمتم ذلك يا أحبائى أن الخليفة عبدالله هو منى وأنا منه أشار إليه سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فتأدبوا معه كتأدبكم معى وسلموا له ظاهرا وباطناً كتسليمكم لى وصدقوه ولا تتهموه فى فعله). ويقول (وأعلموا أن قضاءه فيكم قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم .... وأعلموا أن جميع أفعاله وأحكامه محمولة على الصواب لأنه أوتى الحكمة وفصل الخطاب . ولو كان حكمه على قتل نفس منكم أو سلب أموالكم) [٦].

---

(٤) الآثار الكاملة للامام المهدى : المجلد الخامس تحقيق وجمع أبو سليم ص ٢٩٩ .
(٥) جهاد فى سبيل الله /على المهدى ص ٤٩ .
(٦) منشورات المهدية تحقيق أبو سليم ص ٦٦ .

وحتى نقف على أهمية الخليفة عبدالله كمصدر للأحكام حتى في حياة المهدى وعمل المهدى على خضوع أصحابه وأنصاره للخليفة وتوضيح مقامه لابد أن نستعرض بعض أقوال المهدى فى حقه فى رسائله ،فيقول المهدى للمك آدم عمر مشيراً إلى معارضة الأخير للخليفة ويطلب منه أن يعتذر له . (وتعلم أن الخليفة عبدالله هو خليفة الصديق الذى سبق أصحاب النبى بالفضل والعون الذى لا يشركه فيه أحد .) ... (عبدالله هذا هو يدى وعضدى وعونى وعيبة سرى يشهد بذلك الوارد والصادر وجب على جميع أصحابى توقيره وأتباعه » (٧).

ويكتب المهدى إلى عبدالله عوض الكريم أبو سن وعموم الشكرية طالباً حسن الظن بالخلفاء خاصة الخليفة عبدالله خليفة الصديق « فإنه أحرى بجميع ما ذكرته فى أصحابى مع خواص خصه الله بها » (٨).

وكتب المهدى إلى أحبابه وأصفيائه طالبا حسن الظن بأصحابه وخلفائه « خصوصا خليفة الصديق فقد خصه الله بخواص الهية لم تكن فى غيره) (٩).

وكذلك يكتب المهدى إلى قريبه وعامله على الأبيض وكردفان محمود عبدالقادر فى شأن الخليفة فيقول :(ولا سيما خليفة الصديق الذى نبهنا الأخوان أن من لم تكن فيه محبة وافرة لأجل الله طاعة لنا فلا ينفع أيمانه ولا تدخل فيه المذاكرة التى تحى القلوب .) ونقل المهدى عن نبى الله الخضر عليه السلام أنه قال :(من لم تكن له محبة فى الخليفة عبدالله لا تنفعه ولا تحييه مذاكرة المهدى كما لا تحيى المطر العشبة اليابسة المنقطعة) (١٠).

---

(٧) الآثار الكاملة للإمام المهدى المجلد الثانى ص ١٧٢ .
(٨) الآثار الكاملة للإمام المهدى المجلد الرابع ص ١٦ وما بعدها .
(٩) الآثار الكاملة للإمام المهدى المجلد الرابع ص ٧٠ .
(١٠) الآثار الكاملة للإمام المهدى المجلد الرابع ص ٤٠٣ / ٤٠٤ .

وعندما آلت مقاليد الحكم للخليفة عبدالله راح يدعم سلطته بنشر مناشير المهدى فى شأنه ويؤكد من ناحية أخرى استمرار كرامات المهدية تحت رايته وينشر الكرامات والعلامات التى تؤيده فتهتف به الهواتف وبايعته جموع من قبائل الجن يقال لهم الشمسيون وهجروا أوطانهم وأستقروا بجبال أم درمان وأختاروا الأنضمام للراية الزرقاء رايته سابقا وراية شقيقه يعقوب [١١].

وتحصل للخليفة الحضرة ويتلقى الوحى فى سلسلة تنتهى بالخضر نبى الله فيذكر فى منشوره الشعرة : « وبعد أن سلم الخضر عليه السلام قال لى ربك يقريك السلام والملائكة يقروك السلام والنبى صلى الله عليه وسلم يقريك السلام والمهدى عليه السلام يقريك السلام ويقول لك : بارك الله فيك فى ما صنعته فى الدين ويقول لى الخضر عليه السلام : قال لك المهدى عليه السلام أن الله أخبر جبريل وجبريل عليه السلام أخبر النبى صلى الله عليه وسلم والنبى صلى الله عليه وسلم أخبر المهدى والمهدى عليه السلام أخبرنى أنا بأن أخبرك بأن الله جعلك هدية فى الأرض من مشرقها إلى مغربها . ويقول : الحباك وتبع قولك قبل منا الهدية، والذى يقبل منا الهدية قبلناه وأمن مكر الله » [١٢].

ثم ينتهى الأمر بالخليفة فى دعم مشروعية العقوبات التى ينفذها والأجراءات التى يتخذها بتلقى الحضرة النبوية مباشرة من النبى صلى الله عليه وسلم دون وساطة فيذكر فى حضرة يتعرض فيها إلى مكانته وبعض أجراءاته « أنه قد حصلت لى حضرة نبوية مبشرة حضر لى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ومعه المهدى والخضر عليهما السلام .... « ثم اخبرنى صلى الله عليه وسلم أن كافة الاجراءات التى حصلت منى كقتل

(١١) منشور الشعرة / منشورات المهدية تحقيق د . أبو سليم ص ٩٥ وما بعدها.
(١٢) المرجع السابق ص ٩٨.
(١٣) المرجع السابق ص ١٠٥.

صالح الكباشي وولد أبو روف ودارفور وما فعلته بالشكرية والبطاحين بالبقعة وغيرها فهو الصواب »[١٣]. ثم أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بمدة أقامتي في الدنيا ومفارقتي لها وما سيصير في الكون بيدى وبالوقت الذى ينزل فيه نبى الله عيسى ».

وهكذا يطوق الخليفة أى معارضة بهذا النسيج من الأحكام ، ولا يقع في نطاق البحث النظر في صحة هذه المتون من ناحية عقائدية ، أنما يهمنا أن نتوصل إلى دائرة التجريم والعقاب فى ظل دولة المهدية والمرجعية في تحديد الأحكام والقول بها والوقوف على النظام القانونى ومصدر السلطات التى بموجبها وسندها تتم اجراءات العقاب والردع . فهى تهمنا فقط من ناحية شرحها للنسيج الايدولوجى الذى تدثر به عنف الدولة ضد المعارضين . وسنتطرق لهذا النسيج كلما سنحت الفرصة فى تناولنا لحالات الاعدام المختلفة تعميقا لشرحه والوقوف على طبيعته .

أذن يمكننا أن نلخص أن مصادر التجريم والعقاب اختصرت على مصدرين هما الإمام المهدى ومنشوراته وأوامره ، وكذلك الخليفة عبدالله وأوامره . وكل أحكام نفذت من قبل قادة آخرين أنما تستند بأوامر المصدرين أو ظلال هذه الأوامر كما شاء منفذى الأحكام تفسيرها .

تحديد وتقسيم

حفلت حقبة المهدية وفترة حكمها بالكثير من الاعدامات السياسية والتصفيات الفردية والجماعية . فقد كان مجتمع الدولة المهدية حافلا بالصراعات حول السلطة والثروة شأنه شأن المجتمعات الأخرى . وقد لعبت الرواسب القبلية والمتيولوجيا الدينية دورا بارزا فى طبع الصراع

بطابعها ودثرته بغلالة كثيفة تكاد أن تحجب جذوره الحقيقية وسنتطرق لهذا بالقدر اللازم لأغراض البحث حول الأعدام السياسى .

نلاحظ أن حكومة المهدية قد أولت الخلافات العقائدية أهتماما بالغا ورفعتها إلى مصاف (الجرائم) السياسة من الدرجة الأولى وواجهتها دون تردد بعقوبة الأعدام . لذا سنتناول هذه (الجرائم) العقائدية بشىء من التفصيل بتناول نماذج من الاعدامات التى صدرت فى حق مرتكبيها وسلوك السلطة فى مواجهتهم والاجراءات القانونية المتخذة من محاكمات ومجالس قضاة وأستنطاق ، أى باختصار الملامح الاساسية للتهمة والسلوك القانونى للحكومة فى مواجهتها .

كما كانت نزعة الأستقلال لدى الجماعات والمجموعات القبلية وزعاماتها سببا وراء الكثير من التصفيات ، ودفعت السلطة لاجراءات عقابية صارمة ويمتزج ذلك على وجه الأخص مع سياسة الهجرة التى أتبعها الخليفة عبدالله التعايشى -بغطائها الأيدولوجى - للتغيير من توازنات القوى لصالح الحكومة فى العاصمة ووضع معارضيها الحاليين والمحتملين تحت رقابتها .

كما سنتابع بشىء من التفصيل الاعدامات الناتجه عن الصراع حول السلطة والاعدامات التى طالت رجال الدولة من الذين احتلوا مناصب رفيعة ثم دارت الدائرة عليهم وتم اعدامهم تحت تهم مختلفة ونرجع إلى الأسباب الحقيقية التى وقفت وراء اقصائهم من دائرة الحكم وادراجهم فى قائمة اعداء السلطة ومن ثم تصفيتهم بأحكام الاعدام .

وسنتابع اعدامات قطاع هام فى جيش المهدية والمتمثل فى الجهادية ونقف على تمرداتهم وأسبابها وسلوك المجتمع والسلطة تجاههم .

كما سنتابع مصير الأسرى ومعاملتهم حال خضوعهم لأفعال مفضية لأنهاء الحياة وسنضمن سياق معالجاتنا التركيز على أبراز المثلة بأجساد

المعدومين وطريقة معاملة السلطة لجسد المحكوم عليه وأستغلاله .

وفى الفصل الختامى نتناول الجذور التاريخية للتقاليد العقابية والمتمثلة فى وسائل الاعدام التى تم استعمالها فى العهد محل البحث .

وعليه يكون بحثنا التالى فى حالات الاعدام تحت العناوين الآتية :

(١) اعدامات (الجرائم) العقائدية .

(٢) الاعدامات فى مواجهة نزعة الأستقلال .

(٣) الاعدامات والتصفيات فى الصراع حول السلطة .

(٤) اعدامات كبار موظفى الدولة .

(٥) اعدامات تمردات الجهادية .

(٦) اعدامات الأسرى .

(٧) الجذور التاريخية للتقاليد العقابية فى دولة المهدية .

الفصل الثاني

الاعدامات فى مواجهة (الجرائم) العقائدية

تشمل هذه الجرائم كل ما ينال النظام العقائدى لمبادئ المهدية من معارضة وتتدرج من إنكار المهدية وتكذيب الدعوة من أساسها إلى الخوض فى أحد قواعدها العقائدية وادعاء تعديل عليها لم يأت به أولى الأمر فى المهدية .

وقد واجهت حكومة المهدية هذا النوع من المعارضة بحزم وحسم وكانت عقوبة الاعدام هى الرد الوحيد على مثل هذه المعارضة وفى كل الأحوال كان الشنق مع الصلب نصيب مرتكبيها ، هذا إذا لم يسقط فى الصدام مع قوات المهدية وأجتز راسه فى المعركة ويستوى فى ذلك أن يتخذ المعارض موقفا برفع السلاح فى وجه الدولة أو يكتفى ببث أدعائه سلمياً أو يقف عند حد التحريض ، ففى كل الحالات كانت العقوبة واحدة .

وقد كانت هذه المعارضة تأخذ أحد شكلين من الناحية الأيدولوجية فاما أن تستند إلى التراث الفكرى للإسلام السنى وتتسلح بالأدلة الشرعية وأما أن تنهل من المعين الذى نهلت منه المهدية نفسها المستند إلى تراث الصوفية وعلم الباطن وقد يتنكب المعارض نفسه الهواتف السماوية والحضرات . ونستعرض فيما يلى أبرز حالات الاعدام فى مواجهة الجرائم العقائدية .

أ / اعدام القاضى ميرغنى تميم :

القاضى ميرغنى تميم أحد علماء مملكة تقلى البارزين وقد كان يقود معارضة العلماء فى تقلى عندما أتصل المهدى بالملك أدم وطلب منه أن ينحاز للثورة المهدية . ولم يرض هو والعلماء باتفاق المهدى مع الملك أدم على الرغم من الحدود الضيقة لهذا الأتفاق . بل حرضوا الملك على قتل المهدى وأهدار دمه فالمهدى فى نظرهم نبى زائف وقتله واجب دينى [١].

وبعد أن تم فتح الأبيض طلب المهدى من الملك ادم الهجرة إليه وخاطبه عدة مرات فى هذا الشأن ، وذهب الملك بصحبة القاضى ميرغنى لزيارة المهدى على الرغم من معارضة العلماء لذهابهم وحين قابل القاضى ميرغنى ود تميم المهدى جاهر بتكذيبه وقال ببطلان دعوته فى وجهه فسيق بعيداً ونفذ فيه حكم الاعدام [٢].

ومن هنا يتضح أن القاضى ميرغنى قد أعدم لتكذيبه لدعوة المهدى جملة وتفصيلا وقد كان وفياً لأعتقاده وهو فى قبضة المهدى وهو فى أوج أنتصاراته بعد فتح الأبيض عاصمة كردفان والالوف تتقاطر مهاجرة إليه.

ويبدو أن الوزن السياسى والنفوذ اللذان تتمتع بهما شخصية ميرغنى فى الجبال من العوامل التى عجلت فى التخلص منه فقد ذكر د . زاهر رياض أنه كان وزير للملك أدم.

كما وصفه كل من د . عبدالله على إبراهيم ود . أبو سليم بأنه القائد لمعارضة العلماء فى جبل تقلى وتبدو أهميته فى تركيز المهدى على خصه بالخطاب فى مطلع رسالته للملك أدم حيث كتب : (إلى الملك آدم عمر والقاضى ميرغنى وأهالى جبال تقلى.) [٣] فإن ذكر أسمه بعد الملك

(١) عبدالله على إبراهيم الصراع بين المهدى والعلماء ص ١٥ .

(٢) المرجع السابق + د . زاهر رياض ص ٣٩ .

(٣) الآثار الكاملة للامام المهدى المجلد الثالث : ص ١٠٠.

يدل على أن المهدى كان يضع له اعتباراً كبيراً على الرغم من وجود عدد من العلماء المرموقين فى صفوف المعارضين فى مملكة تقلى .

ب / اعدام فخر الدين حسن المعلاوى :

بينما كان المهدى يتأهب للزحف نحو الخرطوم ظهر رجل من أبناء الغرب يدعى فخر الدين حسن المعلاوى وأدعى أنه خليفة المهدى وكاتب المهدى ذاكرا أنه قد سمع هاتفا من عند الله (بأنا جعلناك خليفة فى الأرض) وقد خاطب المهدى هذا الرجل فى رسائله بكثير من اللطف وكاتبه ناصحا بصدق الأيمان وصفائه مستشهدا بالآيات الكريمة وشرح له مقام الخليفة التعايشى المعين من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم واجتمع على تأييد خلافته الأولياء فى بيت المقدس ويقولون (الحمد لله الذى أظهر المهدى وجعل عبدالله وزيره .) ويمضى خطاب المهدى فى تبيان قدر الخليفة عبدالله « وثم وجد اجتماع الشياطين وهم مهتمون يقولون كان عيشنا بالغش والخداع والمكر والكذب وأتى المهدى وقطع علينا عيشنا ولولا عبدالله وزيراً له وكان الخليفة غيره لكنا نجد فى المهدية دخولا) ثم نصحه المهدى بأن يأتى للخليفة عبدالله [٤].

وفى خطاب تالى من المهدى لفخر الدين يفسر له معنى الأستخلاف المعنى به بأنه محدود بالخلافة على أهل بيته وذريته فهو خليفة لخليفة المهدى فى هذا النطاق [٥] وحضر فخر الدين وعهد به للخليفة عبدالله فحبسه بعض الوقت وقتله [٦].

من الواضح أن (جريمة) فخر الدين تتلخص فى أنه أتى بفكرة وموقف يناقض معالم النظام العقائدى الأساسية للمهدية من ناحية ويناقض من ناحية المعالم الأساسية للدولة المهدية ومبادئها التى رسمها

(٤) المرجع السلبق ص ١٨٠ .

(٥) المرجع السلبق ص ٨٣ .

(٦) نعوم شقير ص ٤٩٢.

الإمام المهدى، فقد أنجز المهدى المعالم الأساسية للدولة ومصدر السلطات عند عكوفه فى قدير . ففى قدير وضع كتاب (الراتب) وعين خلفائه الثلاثة واختار لهم القاب الخلفاء الراشدين تيمنا بالرسول فسمى الخليفة عبدالله خليفة الصديق وعلى ود حلو خليفة الفاروق ومحمد شريف خليفة الكرار . كما ظهر منصب قاضى الإسلام (٧). وكان ادعاء فخر الدين ينال من هذا النظام ويطالب ضمنيا بتعديله الأمر الذى لم يتسامح معه الخليفة عبدالله خاصة وأنه يتعلق بخلافته واعادة النظر فيها ومما يؤكد أهتمام المهدى بأمر فخر الدين حرصه على مراسلته برسالتين يفصل تاريخهما يوما واحدا . فقد كانت الأولى يوم ٢ / شوال / ١٣٠١ هـ الموافق ٢٦ / ٧ / ١٨٨٤ وتلتها الثانية فى يوم ٤ / شوال / ١٣٠١ هـ فعلى الرغم من مخاطبة المهدى لفخر الدين بلهجة النصح الا أنه مدرك لخطورة ما يجره ادعاؤه بالنسبة للنظام الذى رسمه .

ونلاحظ أن فخر الدين لم يتخذ أى موقف عدائى من نظام المهدية بل طلب مكانا فى إطار نظامها ويشير المهدى فى رسالته إلى ذلك قائلاً: (والحمد لله إذ جئت منيبا بلا سيف فنرجو الله على جوابك هذا أن يزيل عنك كل حيف .) وفى نهاية الأمر يمتزج فى جريمة فخر الدين العامل الدينى بالعامل السياسى . فمن ناحية هى أدعاء فى شأن من شئون العقيدة ومن ناحية أخرى هى مطالبة بمكانة فى هرم سلطتها ويلاحظ د . أبو سليم فى تعليقه على هامش رسالة المهدى الأولى أن هذا موضع من المواضع النادرة التى يستعمل المهدى فيها تعبير وزير فى الاشارة لمكانة الخليفة عبدالله .

ج / اعدام العلماء دفع الله بقوى / يوسف أحمد / والعالم طه

كان هؤلاء العلماء يشكلون القيادة الروحية فى مملكة تقلى وتمتع بعضهم بمكانة سامية ودفع الله ود بقوى ينتمى إلى بطن من بطون

(٧) تاريخ السودان الحديث ١٨٢٠ – ١٩٥٥ د . القدال ص ١٣٠.

العركيين وكان عالما مرموقا وذا صيت واسع فى الجبال وندلل على أهميته بأن المهدى قد خصه برسالة فى مراحل الدعوة الأولى عام ١٨٨١ يوضح فيها علامات المهدية وانطباقها عليه ويحثه على الهجرة .

وقد ذكرت فى الحديث عن اعدام القاضى ميرغنى أن جملة علماء تقلى قد تصدوا للمهدى ونقل د . عبدالله على إبراهيم رواية محلية تذكر أن المهدى فى زيارته الثانية لتقلى ناظره مجلس من العلماء وهم القاضى ميرغنى والعالم طه والشيخ دفع الله ودبقوى ولم يعترفوا له بالمهدية (٨) .

وفيما يبدو لم يهاجر المذكورين مع الملك آدم والقاضى ميرغنى إلى المهدى بعد فتح الابيض وواقعة شيكان وظلوا فى الجبال رافضين للمهدية الى ان وجه المهدى حمدان أبو عنجه إلى حرب الجبال . وفى رسالة إلى حمدان يبين المهدى أوامره تجاه هؤلاء العلماء فيقول (.. أما دفع الله بقوى فأمنوه وطمنوه ومتى قابكم فارفقوا به وارسلوه لنا لتربيته (٩) أما العالم أحمد فيفرد المهدى حاشية فى الخطاب بشأنه قائلاً : (قد ذكرنا لكم بالجواب باطنه أن يوسف أحمد أرسلوه لنا لتربيته . فهذا أن كان منيبا إلى الله وتائباً عن مافات . وأما أن كان مصرا على ما هو عليه من العناد والسعى فى الأفساد فاقتلوه وطهروا به الأرض ليكن ذلك أقامة للدين وعبرة للمعتبرين ولكمال معلوميتكم لزمت التحشية (١٠) .

وهنا يظهر أن المهدى قد فرق فى معاملة هؤلاء المعارضين ويبدو أنه لم يكن راغباً فى اعدام دفع الله ودبقوى ربما املا فى هدايته أو لمكانته السامية بين أهالى الجبال بينما أصدر أوامره بشأن يوسف أحمد تاركا الخيار لحمدان أبو عنجة فى اعدامه أو الأبقاء عليه لعوامل التربية الروحية. وعلى كل حال لم تمهل الأيام المهدى لمعالجة الأمر وأشتدت

(٨) عبد الله على إبراهيم / الصراع بين المهدى والعلماء ص ١٥ .

(٩) الآثار الكاملة للامام المهدى المجلد الخامس ص ٣١ .

(١٠) المرجع السابق ص ٣٢ .

معارضتهم بعد وفاته وقد إستغلوا الموت المفاجيء للمهدى لتكذيب أحد علامات المهدية الموجودة فى الكتب وهى تلك المتعلقة بميقات وفاة المهدى[11] واشتركوا فى حروب الجبال سنة ١٣٠٢ هـ وقد ظفر بهم حمدان أبو عنجة ورفع أمرهم للخليفة فأجازه بقتلهم وتم اعدامهم فى أكتوبر ١٨٨٥م [12].

د / شنق وصلب محمد نور (فبراير ١٨٨٧) :

محمد نور رجل من الفادنية جاهر فى ام درمان بانكار المهدية ورفض الصلاة فى الجامع وقد كانت الصلاة فى الجامع شرطاً أساسياً من شروط الولاء للمهدية . وقد كان الخليفة عبدالله حريصاً على أن يؤم جميع رجال أم درمان المهمين الجامع لاداء صلاة الجماعة فى كل الأوقات . قبض على الرجل وحوكم بمجلس من القضاة فأصر على إنكاره وأنكر قتل المهدى لأهالى الخرطوم وغيرهم . وقد دارت مناظرة فقهية بين محمد نور الفادنى والقضاة ولم يرجع عن رأيه فحكموا باعدامه شنقاً مع الصلب .

ونظن أنه بعد الصلب قم تم العبث بجسمانه المصلوب فقد كتب الخليفة لحمدان أبو عنجة بعد صلبه " أنه قد أكلت النار لسانه ولحيته ويديه ورجليه وسرحت فيه وتغير لونه والعياذ بالله من ذلك وبعد ذلك أمرنا فاخرج من الديم خارج قبور المسلمين" [13].

ومن الواضح أنه لا يترتب على الشنق والصلب أشتعال النار بالجسد . ونلاحظ إنه بدفن محمد نور خارج مقابر المسلمين أنه قد اعتبر فى نظر السلطة مرتد عن الدين الإسلامى كله بانكاره للمهدية .

---

(١١) تاريخ كردفان السياسى ص ٨٣ .

(١٢) منشورات المهدية د. محمد إبراهيم أبو سليم ص ٢٣ .

(١٣) نعوم شقير ص ٨٠١ / القدال ص ٢١١ .

هـ / صلب الشيخ محمد عبد الماجد :

الشيخ محمد عبدالماجد من أهالى مديرية بربر أمتنع عن الصلاة فى مسجد الخليفة وكان يصلى بجيرانه فى البيت ويعظهم منكرا المهدية وأفتى بقتالها كبدعة وضلالة فقبض عليه وأثنين من جيرانه وأجتمع القضاة برئاسة الخليفة على ود حلو وأستنطق المتهمون فلم ينكر الشيخ محمد عبدالماجد ودافع عن دعواه بالأدلة الشرعية بينما أنكر رفيقاه فأمروا بصلبه فنفذ الحكم بالصلب فى الشيخ وأعفى رفيقاه من الصلب وأستبدلت العقوبة عليهما بالسجن(١٤).

و / شنق آدم محمد البرقاوى مدعى نبؤة عيسى وأنصاره ١٨٨٧ :

أدعى رجل يسمى آدم محمد البرقاوى وهو أحد الأنصار المرابطين فى جيش القلابات أنه نبى الله عيسى وأسر بدعوته إلى عدد من أمراء الجيش فصدقه عشرة منهم وعاهدوه على نصرته وأن يكون السر فيما بينهم واتفقوا على دعوة القائد يونس الدكيم سرا فإذا لم يوافقهم يقتلوه ، فانكشف أمرهم نتيجة وشاية من أحد الأشخاص ليونس فقام بجمعهم فى المسجد وواجههم بالتهمة فلم ينكروها فتركهم إلى أن حضر حمدان أبو عنجة فاستدعى حمدان صاحب الدعوة وأنصاره واستجوبهم فى مجلس من القضاة وأجاب محمد ادم البرقاوى بأنه نبى الله عيسى وأكد أنصاره من الأمراء أنه على حق وأنهم مصدقون لدعواه .

ودارت مناظرة بين آدم ونواب الشرع حول علامات عيسى عليه السلام وظهوره ، وشارك فى الرد بعض مصدقيه وأظهر أدم موقفه من الخليفة مؤكدا أنه تحت أشارة الخليفة إلى وقت معلوم وقال أن أوانه لم يحن بعد وليس للمجلس شأن به الآن لأنه لم ينذرهم بعد .

رفع حمدان أبو عنجه ويونس الدكيم للخليفة أمر آدم محمد

---

(١٤) إبراهيم فوزى الجزء الثانى : ص ١٩٦ .

البرقاوى وانصاره بعد ايداعهم فى السجن فكتب الخليفة إلى أبى عنجة آمرا باعدام آدم وخيّره بين قتل أنصاره من امراء الجيش وسجنهم . وحال وصول كتاب الخليفة نصب حمدان المشنقة وشنق ادم وانصاره جميعاً ، واحدا بعد الآخر أمام الجيش . ثم جز رؤوسهم وأرسلها إلى أمدرمان حيث علقت فى السوق .

وكان من أنصار البرقاوى عبدالله البرقاوى ومحمد عمر المشهور بأبى القرشى ومهاجر اسماعيل وعيسى أحمد والطيب محمد بن البديرى ومحمد أحمد أبو أم فضالى الحمرى والطائف أحمد وهنون النيل الهبانى ومحمد حسين البقارى ومحمد على البرناوى وعبد الله جاموس وعثمان أحمد المغموس وجميعهم امراء رايات [١٥].

وتكمن خطورة هذه الدعوى بأن ظهور نبى الله عيسى مرتبط بفكرة المهدية إذ أنه يأتى بعد المهدى كعلامة من علامات الساعة الأمر الذى يأذن بزوال سلطة الخليفة عبدالله مما يجعل الفكرة من أقوى الأسانيد لمنازعة الخليفة ويلاحظ أن كل المصدقين لادم فى دعواه من أبناء الغرب فكما أشار د . القدال فى الإسلام والسياسة فى السودان (كانت رياح المهدى المنتظر التى تهب من غرب أفريقيا تجد لها مدارا صالحا فى السودان) [١٦] وهم يشكلون عضد الخليفة وسنده فكان لابد من التصدى بصرامة لمثل هذه الدعوة .

ولم يكتفى الخليفة بالعقوبات التى نفذت فى أنصار نبوءة عيسى بل أصدر منشوراً يبين العقوبة التى يلقاها مدعى نبوءة عيسى فى الآخرة ومن يتبعه ذاكرا أنه قد كان يستغفر لهم الله ويطلب الصفح عنهم فهتف به هاتف بعد صلاة الصبح أن يبتهل لله حتى حلول النافلة ففعل وصلى

---

(١٥) حول حركة ادم البرقاوى انظر نعوم شقير ص ٧٣٤ وما بعد/ القدال ص٢١٠.

(١٦) الإسلام والسياسة فى السودان/١٦٥١ – ١٩٨٥ د. محمد سعيد القدال ص٧٠.

ركعتين وطلب لهم المغفرة (فانكشف لى حالهم انكشافا روحيا فرأيتهم معذبون فى نار جهنم عذابا شديدا) ووصف أوضاعهم فى جهنم (فكان صاحب الدعوة قد غيب فى جهنم وعليه دوى شديد وعليه صراخ وزفرات وولد بقادى من تحته مما يلى قعر جهنم وعبدالله البرقاوى من فوقه وأبى القرشى ووزيره والطائف كذلك وهم على طبقات من العذاب وأما هنون وأبو ام فضالى وعبدالله جاموس وباقى الجماعة فهؤلاء يغيبون تارة ويظهرون تارة أخرى.) وذكر الخليفة فى المنشور (وفى تلك الساعة مر عليهم النبى صلى الله عليه وسلم فاستغاثوا به فأحال أمرهم إلى المهدى عليه السلام ثم استغاثوا بالمهدى عليه السلام فقال لهم خالفتم الخليفة عبدالله فأمركم بيده فلما رأيتهم بهذه الحالة الشنيعة إبتهلت إلى الله فى الاستغفار لهم مدة وهم يمدون أياديهم بطلب الأغاثة وأنا فى ابتهالى إلى الله فى سلامتهم فسمعت مخاطبا خاطبنى بأن الباب الذى دخلوا منه ليس باب التوبة بل هو باب الكفر لكونهم ماتوا على غير ملة الإسلام وكل من دخل من هذا الباب لا يغفر له.) (١٧)

وهكذا فى عقاب الأخرة لهذه الجريمة لم تجدى الأستغاثة بالنبى ولا المهدى ولا بالخليفة نفسه بعد الاحالات المتواترة التى أشار إليها الخليفة فى كشفه . مما يبين عظم هذه المعارضة فى نظر الخليفة عبدالله وخطرها وكثافة الغطاء الايدولوجى للعقوبات التى نفذت فى هذه الحالة وتعميق حالة الأرهاب من أرتكاب مثل هذه المعارضة بين الناس .

ونكتفى بهذا القدر من الاعدامات المترتبة على مخالفة عقيدة المهدية لكن بقى لنا أن نشير أشارة هامة وهى أن الأسس العقائدية فى المعارضة تمتزج أحياناً بمطامح الأستقلال عن السلطة المركزية كما حدث فى حركة أبو جميزة الشهيرة إذ أتحد أبوجميزة مع أبى الخيرات شقيق

(١٧) منشورات المهدية تحقيق أبو سليم / الخرطوم ١٩٦٩ ص ١٠٢.

الأمير يوسف الذى تم قتله فى نضاله من أجل الأستقلال بدارفور فكان مواصلة لنزعة الفور نحو الأستقلال وقد أدعى أبوجميزة خلافة عثمان بن عفان ذلك الكرسى الذى ظل شاغراً فى نظام المهدية وخاض نضالا ضروساً ضد المهدية وهزم جيوشها عدة مرات الا أنه مات فجأة بالجدرى وخلفه أخوه ساغة وزحف نحو الفاشر فهزمته جيوش الأمير عثمان واجتز رأس ساغة ورأس وكيل بن سلطان سلا وفر أبو الخيرات (١٨).

ولم تتوقف هذه الحركات التى تقوم على أساس تنبؤى حتى السنوات الأولى للادارة البريطانية.

(١٨) نعوم شقير ص ٧٢٠ وما بعدها.

الفصل الثالث

الاعدامات والتصفيات
فى
مواجهة نزعة الإستقلال

أرتبطت هذه الاعدامات بمعارضة سياسة تهجير القبائل الجبرية التى فرضها الخليفة عبدالله التعايشى على المجموعات القبلية المختلفة .فقد أعتبرت الهجرة فى نظام المهدية ركنا أساسياً من أركان العقيدة ورمى الخليفة من خلالها إلى تنفيذ سياسات متعلقة باستقرار السلطة من حيث خلق سند شعبى لها فى عاصمة البلاد بتهجير قبائل الغرب ومن ناحية أخرى قصد أضعاف المعارضة المحتملة من القبائل بفصلها عن مواطنها ووضعها تحت الرقابة المباشرة للسلطة .

وقد قضت هذه السياسة على المقوم الأساسى الذى يشكل العمود الفقري لأى دولة الا وهو إنتاج الحياة المادية والمتمثل فى الحياة الأقتصادية لمجموعات السكان فقد ترتب على سياسة الهجرة إنتزاع القبائل من مواقع العمل ووسائل إنتاجها وترتب عليها ضرب لمجريات الحياة الاقتصادية وتقويض لتوازنها ، وفى أحسن الفروض زعزعة أستقرارها .

وبذا فقدت الدولة العمود الفقرى لهيكلها وتحولت العاصمة إلى معسكر حربى ضخم أو معسكر أعتقال للقبائل النافرة . وعمدت السلطة إلى تحويل السكان إلى مجموعات من المحاربين وانعكست صورة الحياة

العادية ، فتحول النشاط الرعوى والزراعى والتجارى إلى ظاهرة عرضية فى مرحلة من المراحل أمام الهدف الاسمى المعلن من قبل الدولة (الجهاد فى سبيل الله) . ومهما كانت مرامى المهدى والخليفة عبدالله من هذه السياسات الا أنه ترتب عليها تفريغ الدولة من محتواها الأقتصادى وصارت هيئة الدولة قشرة خارجية تستند فى وجودها على قوة السلا ح فى يد المجموعات الموالية لها دون أن تضرب جذورها عميقا فى حياة المجتمع مما خلق معارضة مستمرة حتى لحظاتها الأخيرة من مجموعات السكان ليس فقط من قبل المجموعات التى عارضت المهدية منذ اعلانها بل من المجموعات التى ناصرتها منذ البداية وأرتخصت أرواحها فى سبيل نصرتها . وتبدو فداحة الوضع فى اصطدام الخليفة بأبناء عشيرته وقبيلته التعايشة عندما فرض عليهم سياسة الهجرة وعمد إلى حرق مزارعهم وقراهم قطعا لخط الرجعة عليهم .

وهنا يكمن فى تقديرنا أحد التناقضات الرئيسية لدولة المهدية فقد حاولت أن تبنى على أنقاض النظام السابق دولة مركزية دون أن تسند مركزيتها بمحتوى أقتصادى أجتماعى بل عمدت إلى تهشيم وتحطيم ما أستندت عليه مركزية النظام السابق . ولعل هذا التناقض من الأسباب الرئيسية لسهولة سقوطها وهزيمتها .

ويقابل ذلك نزوع متأصل لدى المجموعات السكانية المختلفة نحو الأستقلال الذاتى عن السلطة المركزية نجد جذوره فى طبيعة حياتها وتاريخها . وتداخلت عوامل سياسية وتاريخية فى تكوينه . فإذا نظرنا إلى طبيعة العلاقة بين المركز والأطراف قبل أن تجمع أطراف السودان قوة نار وحديد التركية السابقة ، نجد أن مملكة الفونج (السلطنة الزرقاء) التى كانت تسيطر على رقعة كبيرة من السودان «أبعد ما تكون عن الحكومة المركزية فليست هناك مؤسسات أدارية متماثلة تنتشر فى سائر أنحاء المملكة ربما عدا التنظيم القبلى ، وكان تدخل السلاطين فى

الشئون الداخلية للتنظيمات الأدارية الأقليمية أو المشيخات لا يتعدى جباية الضرائب وتعيين شيخ أو زعيم ، أو ما يعرف بالملك مكان الزعيم المتوفى ولكن من أسرته الحاكمة » [١] ونضيف إلى ذلك أنه حتى المشيخات والممالك الصغيرة لم تقنع بمثل هذه العلاقة اللامركزية متى وجدت الوقت ملائما ، مثلما حدث فى تمرد الشايقية على العبد لاب وسلطنة سنار فى غضون القرن السابع عشر والمجاهدات المستمرة لأسرة المسبعات للإفلات من نفوذ الفونج وسلطة دارفور معاً.

ونجد شواهد كثيرة على نزعة الأستقلال فى تاريخ دارفور التى ظلت لسنوات طويلة خارجة عن نطاق دولة التركية المركزية ودفعت دماء كثيرة فى سبيل أستقلالها على مر الحقب ولعل من الشواهد البارزة أحتفاظ مملكة تقلى بأستقلالها الذاتى حتى فى إطار دولة التركية السابقة.

وقد شجع أنهيار السلطة المركزية أبان الثورة المهدية نزعات الأستقلال وأنعش الأمال القديمة فى رغبة الأنعتاق من الحكم المركزى خاصة وأن الحكام الجدد من الوطنيين لا يختلفون فى شىء عن الآخرين ليفرضوا سيادتهم عليهم .

اصطدمت هذه الحقائق بسياسة الهجرة ولم تجدى نداءات وأنذارات الحكومة فى تغيير الوضع وكان فى متناولها قوة عسكرية ضخمة فى مواجهة مجموعات متفرقة وجدت نفسها تناهض هذه السياسة دون أن يكون لها مطمع فى أسقاط السلطة المركزية ودون أن تسعى للتوحد فيما بينها من أجل هذا الهدف فكان أن واجهت السلطة هذه النزعة بموجة من الحروب والاعدامات كانت فى نظرها السبيل الوحيد لفرض سيادتها . وطالت الاعدامات زعماء القبائل فقد كان يرى الخليفة عبدالله

(١) مقدمة فى تاريخ الممالك الإسلامية فى السودان الشرقى (١٤٥٠ - ١٨٢١) د. يوسف فضل حسن / جامعة الخرطوم ص : ٥٩ - ٦٠ .

فى الزعماء التقليدين العقبة الرئيسية أمام تنفيذ سياسة الهجرة ويرى فصلهم عن قواعدهم أما بقتلهم أو استدعائهم إلى امدرمان ليبقوا تحت رقابته المباشرة . فقد كان التلكؤ عن اجابة دعوة الخليفة بمثابة أعلان الحرب على الدولة ومن ثم تبدأ المطاردة من السلطة للزعيم المعنى إلى أن تظفر به وتعدمه . وفيما يلى نعرض لبعض الاعدامات والتصفيات التى نفذت نتيجة هذه السياسة ، كما نفرد عنوانا للتصفيات الجماعية التى ترتبت عليها .

أ / اعدام مادبو على زعيم الرزيقات (فبراير ١٨٨٧) :

ناصر مادبو الثورة المهدية فى أقليمه وأنتزع زعامة الرزيقات وقادهم فى الحروب الثورية فى دارفور وكان له نصيبا فى أضعاف الحكومة بدارفور وأسقاطها فى قبضة المهدية وبعد أن أنتصرت المهدية فى دارفور رجع إلى دار الرزيقات ولم يستجب إلى دعوة الهجرة سواء من المهدى أو الخليفة . ويرى د . أبو سليم بحق أن الدافع المباشر لثورة مادبو هو نزوعه للأستقلال عن عمال الخليفة وأعتراضه على الهجرة إلى العاصمة امدرمان(٢).

ويدعم نزوع الرزيقات المتأصل نحو الأستقلال ماذكره الزبير باشا فى مكاتباته للسلطان إبراهيم قبل غزوه لدارفور حيث قال عنهم (هؤلاء العربان الحفاة الذين خرجوا عن طاعة سلطنتكم منذ ثلاثين عاما .) (٣) مما يدل على أن الرزيقات لم يخضعوا أصلا لسلطان منذ فترة معتبرة ويعزز توارث هذه النزعة وتأصلها لدى قادتهم .

ويرى د . موسى المبارك (أن مادبو اراد سيادة تامة على دار الرزيقات وما جاورها من قبائل ... واتسعت دائرة عصيان مادبو فاصبح

(٢) الحركة الفكرية فى المهدية (د. محمد ابراهيم أبو سالم ص٤٦).
(٣) نعوم شقير ص / ٢٦٨.

زعيماً للخارجين على الخليفة وماوى للنافرين من الهجرة .) [٤] وبعد قتال مستميت تشتت قوات مادبو وصار طريداً لقوات الخليفة التى أحكمت حوله الحصار إلى أن تم القبض عليه قرب الفاشر على يد رجال الأمير يوسف ابراهيم وتم تسليمه إلى كرم الله كرقساوى الذى سلمه بدوره إلى محمد كرقساوى فى شكا وآرسله الأخير مخفوراً إلى امدرمان لكن فى الأبيض تم اعدامه على يد حمدان أبو عنجة تنفيثاً لضغينة قديمة بينهما وواجه مادبو مصيره بشجاعة وثبات وقطع حمدان رأسه وأرسله إلى أمدرمان للخليفة فعلقه فى الجامع من صلاة الصبح إلى الظهر [٥].

ومهما قيل عن رغبة الخليفة فى الأبقاء على حياة مادبو حسب بعض الروايات الا أن اعدامه ينسجم مع سياسته تجاه المعارضين لمبدأ الهجرة وقد أقر الخليفة حمدان على أعدامه حيث كتب له « ولتعلم أن من ضمن اجراءاتك السديدة قتل مادبو لما فى ذلك مصلحة للدين وعبرة للعصاة.) [٦]

ب / اعدام الشيخ صالح فضل الله زعيم الكبابيش :

لم تناصر قبيلة الكبابيش منذ البداية الثورة المهدية وذلك لأرتباط مصالحهم أرتباطاً وثيقاً بالتركية ونظامها . حيث كان لهم نصيباً وافراً وكبيراً فى تجارة الصمغ وتصديره أضافة لدور ثروتهم من الابل فى عمليات النقل والتجارة ، فهم يلعبون دوراً مشابها لدور العبابدة فى التجارة بل هم أكثر ثراء وغنى منهم .

وقد أعدم المهدى زعيمهم السابق التوم ودسالم بتهمة التخابر مع

(٤) موسى المبارك تاريخ دارفور السياسى ص ٩٣ / ٩٤ .

(٥) نعوم شقير ص ٧١٥ ، السيف والنار ص ١٥٢ ، المعارضة الداخلية لحركة المهدية ص ٢٦٢ .

(٦) المرجع السابق الاخير.

غردون وهربت بقية القبيلة مع صالح فضل الله (٧). ولم يستجب صالح لمكاتبات الخليفة المتكررة بالهجرة وظل يماطل فترة طويلة قبل أن يشهر عصيانه . ونتيجة لعدم أستجابته لنداءات الخليفة المتكررة أهدر الخليفة دمه وصار طريدا لقوات الخليفة وكان للقائد عبدالرحمن النجومى دوراً كبيراً فى أحكام الحصار على صالح وضرب خطوط أمداداه . فقد رسم خطة محكمة لمحاصرته أعتمدت على خريطة موارد المياه اقره الخليفة عليها وكان نصيبها النجاح وقبل ذلك ضرب قافلة امداده بالسلاح وأستولى عليها .

وفى النهاية تم القبض عليه بعد حصاره فى عين حامد فى ١٧ / مايو / ١٨٨٧ وحاول معتقليه شد وثاقه فرفض ذلك وسب المهدية أمامهم وجلس على فروته على عادة فرسان السودان عند هزيمتهم فتقدم جرجير تمساح منه واجتز رأسه ثأراً لابيه وعمه وأرسل الرأس للخليفة فى أم درمان حيث علقه فى الجامع .

ونلاحظ للمرة الثانية تواتى الثأرات الشخصية رغبة السلطة فى التخلص من المعارضين (٨) .

جـ / تصفية الأمير يوسف بن السلطان إبراهيم فبراير ١٨٨٨ :

لم تقع دار فور تحت حكم التركية الا لعشر سنوات فقط ما بين نوفمبر ١٨٧٤ - يناير ١٨٨٤ م وفى خلال هذه الفترة لم تستكن سلالة ملوك دارفور فى نضالها من أجل الأستقلال وأستعادة ملكهم ، وكلما ظفرت السلطات بقائد بايع الفور أميراً آخر من سلالة ملوكهم

(٧) المقاومة الداخلية لحركة المهدية ص ٢٣٨ .

(٨) اعدام الشيخ صالح أنظر نعوم ص ٧١٦ محمد محجوب مالك المقاومة الداخلية لحركة المهدية ص ٢٤٢ / مكى شبيكة السودان فى قرن ص ٢٦٤ / السودان عبر القرون ص ٣٣٦ / د. زاهر رياض السودان المعاصر منذ الفتح المصرى حتى الأستقلال ١٨٢١ ـ ١٩٥٣ ص ١٥٩ / السيف والنار ص ١٥٦ .

واندفع بهم فى معارك الإستقلال .

وفى المهدية تولى خالد زقل عمالة دارفور ولما أنصاع لأمر الخليفة بالتحرك إلى امدرمان أبقى الأمير يوسف بن السلطان إبراهيم عاملا عليها ، فجلس على كرسى السلطنة مختطا نظام ابائه فسمى الحكام بالمكوك والشراتى وسموا الجهات حواكير على عادة تقاليد السلطنة . أى أنه بعث نظام السلطنة القديم وكل علائم الأستقلال عن سلطان الخليفة . كما آتخذ بعض الأجراءات السياسية العسكرية فى سبيل تأمين السلطة مثل طرده لكرم الله كرقساوى من داره .

وقد كاتب الخليفة عبدالله الأمير يوسف بلطف مركزا على الروابط الدينية وطلب منه الحضور إلى أم درمان لتجديد البيعة وزيارة ضريح المهدى فامتنع الأمير يوسف .

وأشتعلت الحرب ضروساً بين الأنصار والفور وخسر الأمير يوسف معاركه أمام السلطة المركزية وتشتت جيشه ووقع فى الأسر أعداد كبيرة منه ولحقت الأنقسامات قواده وقواته فلجأ الأمير إلى جبل مرة فى قلة من أتباعه بعد أن انسلخ عنه الكثيرون وطارده الختيم موسى وعندما ضاقت به السبل برزللختيم فيما يشبه الأنتحار "فقرر الموت وبرز لقتال الختيم موسى فقتله وبعث برأسه إلى الفاشر فعجل عثمان أدم بارساله إلى أم درمان ليحمل الرأس البشرى إلى الخليفة بنهاية خصم لدود ومكافح عنيد" (٩).

د / اعدام الغزالى أحمد خوف :

ورث الغزالى زعامة التعايشة عن أبيه أحمد خوف وقد الت الزعامة لبيتهم بعد صراع مع فرع الجبارات الذى ينتمى له الخليفة عبدالله وقد كان الغزالى من الرافضين لسياسة الهجرة بل قام بقتل رسل الخليفة الذين

(٩) موسى المبارك ص ١٢٢

جاؤوه بالأمان منه ، وحظى الغزالى بتأييد أغلبية بطون التعايشة فى رفضهم للهجرة رغم مناشدات ووعد ووعيد الخليفة . الأمر الذى أشعل غضب الخليفة عليه خاصة وأن التعايشة هم العصبة التى يريد أن يسند حكمه بها وهم أبناء قبيلته .

وفى نهاية الأمر وتحت الضغط العسكرى أضطر الغزالى للتسليم وهاجر التعايشة فى مشهد حزين بعد حرق قراهم وزروعهم ولم ينف اكرام الخليفة لهم لوعتهم على مغادرة ديارهم .

ولم يستقر الغزالى فى ام درمان الا لبعض الوقت حيث هرب منها ومعه أبن أخته وأحد عبيده فأنفذ الخليفة رجاله خلفه فأدركوه مسيرة يوم شمالى امدرمان - وفق ما نقله موسى المبارك - وفى موضع يقال له كجمر شمال كردفان حسب ابراهيم فوزى - وقتلوه وقطع رأسه وحملوه للخليفة وأسر رفيقاه . وتتضارب الروايات حول أسباب هروب الغزالى فيرى د . موسى المبارك (أما شوقا لموطن ملكه ، أو بسبب المخاوف التى تساوره من تربص الخليفة به خاصة وأن بعض أقارب الغزالى أدخلوا فى روعه أن الخليفة يأتمر به ويريد قتله [١٠]. ومن جهة أخرى يروى إبراهيم فوزى أن الخليفة وعد الغزالى بالوزارة ولم يف بوعده مما دفعه للهرب[١١]. ومهما تضاربت الروايات الا أنه فى نهاية الأمر لقى الغزالى حتفه نتيجة هربه وأنطلاقه من إسار الهجرة الجبرية .

هـ / التصفيات الجماعية فى تنفيذ سياسة الهجرة :

كان لعنف السلطة فى سبيل إنفاذ سياسة الهجرة الجبرية نتائج مأسوية تمثلت فى أبادة أعداد مهولة من السكان ولا تنجو حكومة

(١٠) المرجع السابق ص ١٣٦ .

(١١) فى مقتل الغزالى أنظر نعوم شقير ص ٨٠٥ موسى المبارك ص ١٣٦ / إبراهيم فوزى ص ٢٠٥ .

الخليفة فى هذا الصدد من وصمة النزوع نحو الأبادة الجماعية - أسوة بحكومة التركية السابقة - ويقف شاهداً على هذه الحقيقة الرصد والتقص حول المجازر وأعداد القتلى الذين سقطوا فى المقاومة لسياسة الهجرة .فقد كانت الأجراءات العسكرية باهظة التكاليف وباهظة النتائج . ونعرض فيما يلى للمجموعات التى تعرض رجالها للتنكيل والقتل ويخرج عن نطاق البحث الحديث عن السبى والمصادرة للأموال والثروات.

مقتلة قبيلة رفاعة الهوى :

قتل فيها المرضى أبو روف وأعدادا كبيرة من أفراد أسرته وقبيلته، كما سقط بعض الزعماء أمثال مردس شيخ العلاطين وإبراهيم ود صابون شيخ العقليين والفقيه إبراهيم ود خالد والشيخ محمد بن الشيخ مالك (١٢) وكان ذلك عام ١٨٨٨ م .

مجزرة البطاحين :

خرج أبناء قبيلة البطاحين على جيش ود النجومى وعادوا لديارهم ومارسوا قطع الطريق تدفعهم لذلك أثار المجاعة فاستدعاهم الخليفة إلى ام درمان فأهانوا رسله وطردوهم فأرسل إليهم تجريدة من ٢٥٠٠ رجلا فسقطت أعداد كبيرة منهم وقتل معظم اكابرهم وسيق الأسرى بنسائهم وأطفالهم إلى ام درمان وفيهم ٦٧ رجلا جعلهم الخليفة أربعة فرق . فرقة قتلت شنقا وفرقة ضربت أعناقها وأخرى قطعت أيديها اليمنى وأخرى قطعت أيديها وأرجلها من خلاف (١٨٨٩) (١٣) .

---

(١٢) نعوم شقير ص ٨٠٣ / إبراهيم فوزى ص ١١٢ - ١١٣ / أبو سليم الحركة الفكرية فى المهدية ص ٢٠٥.

(١٣) نعوم شقير ص ٨٠٤ / هولت ص ١٥٨ / إبراهيم فوزى ص ٢٢١ - ٢٢٢ / أبو سليم ص ٤٦

الشكرية :

سقطت أعداد كبيرة من قبيلة الشكرية تحت سنابك الأنصار فى مطاردتهم وهم ينزحون هرباً من التهجير . وذكر إبراهيم فوزى أنه قد مات منهم مئتين رجل فى سجون الخليفة من الجوع والعطش وتجمع المراجع على أن الشيخ عوض الكريم أبوسن قد مات فى السجن وقد كان تعداد الشكرية نصف مليون نسمة وتدل هجرتهم إلى الحبشة وتشتتهم فى البلاد على مدى ما وقع بهم من عسف (١٨٨٦) (١٤) .

محمد بشير على طه بن جن شيخ الحمدة وأهله :

تتبعه الخليفة إلى أن ظفر به وقتله ونكل بأهله تنكيلا (١٥).

مجزرة الهبانية :

قتل فضل الله شرف الدين وكيل العامل بشارى ريده ما يزيد على الفى رجل منهم فروا من معسكرات الترحيل إلى ام درمانّ وما يدل على فجيعة الهبانية فى رجالهم ورفضهم لمسألة الهجرة ما نقله : د . موسى المبارك عن إحدى اهازيجهم الشعبية التى يرددونها فى أفراحهم وهى أبيات من الشعر تقول بتفضيلهم الهجرة إلى دار فرتيت تحت سلطانها زيو الوثنى وأن كان مأواه النار خيراً من الهجرة مع الأمير عثمان جانو الذى يعدهم بنعيم الآخرة والجنّات (١٦).

ومما يجدر بنا ذكره أن الفور فقدوا فى حروبهم مع قوات الخليفة والمهدية ما يزيد على العشرة الآف رجل قتل منهم فى معركة دارة الأولى ما يزيد على ثلاثة الآف وفى معركة دارة الثانية خمسة الآف وسقط الفان عند ود بيرة هذا غير الذين طاردتهم قوات الأنصار فى وادى ازوم وشعاب جبل مرة (١٧).

---

(١٤) نعوم شقير ص ٨٠٢ / المقاومة الداخلية لحركة المهدية ص ٢٤٦ / إبراهيم فوزى ١١٠ / أبو سليم ص ٤٦ .
(١٥) نعوم شقير ص ٨٠٢ / أبو سليم ص ٤٦ .
(١٦) موسى المبارك ص ١٣٧ .
(١٧) موسى المبارك ص ١١٩ وما بعدها .

الفصل الرابع

الاعدامات والتصفيات
فى
الصراع حول السلطة

نتناول فى هذا الفصل الاعدامات والتصفيات التى كانت نتيجة صراع مباشر وواضح حول السلطة وذلك فى أى مستوى من مستوياتها فبعض الأشخاص والمجموعات التى نفذت عليها هذه الاعدامات والتصفيات أتت من الأفعال ما يستهدف كيان السلطة وخططت وسعت للاطاحة بها وبعضها قام بتهديد جزئى للسلطة فى مستوى من مستوياتها وترأى للسلطة ضرورة تصفيتها من أجل توطيد أركانها .

وقد تميز سلوك الدولة حيال هذا النوع من المعارضة بالقسوة البالغة والحزم فى التنفيذ ، وسلكت مسلكا شرسا خاصة وأن الأمر تعلق بكيانها ووجودها .

ونتناول هذه الاعدامات حسب أهميتها وخطورتها دون التقيد بالتسلسل الزمنى لها .

أولا : اعدامات وتصفيات حركة الاشراف : ديسمبر ١٨٩١ :

لا شك أن تحرك الاشراف وهم أقارب المهدى والمنضوين تحت راية الخليفة شريف خليفة الكرار كان يستهدف قلب نظام الخليفة عبدالله التعايشى والاطاحة به . فقد بايع الأشراف الخليفة عبدالله على مضض وكانوا يتطلعون للسلطة ، ومهما كانت مجريات الحوادث بينهم وبين

الخليفة ومهما كانت دواعى تحركاتهم المباشرة من تضييق الخليفة عليهم وتجريد قيادتهم من القوات والبيارق ومظاهر السلطة وعزل رموزهم من العمالات ففى النهاية كان الأمر صراعاً حول السلطة .

وقد كان الاشراف يجتمعون سرا ويجرون الأتصالات للتحضير لمواجهة عسكرية واسعة إلى أن أفتضح أمرهم فعجلوا بالتحرك وقد حدثت المواجهة العسكرية بين حزب الأشراف والخليفة وتوتر الجو فى ام درمان وقد تبودل أطلاق النار لمدة ساعة إلى أن أنجلى الأمر نتيجة الوساطات المتكررة والتى لعب فيها الخليفة على ود حلو دوراً كبيراً .

وتم التوصل لصلح أشترط الأشراف فيه شروطاً أرتضاها الخليفة عبدالله أهمها العفو الشامل عن المشاركين فى الحركة وضمان سلامتهم ورد الأعتبار للخليفة شريف واعطائه مقاما يليق به أضافة لبعض الأمتيازات المالية تصرف من بيت مال المسلمين لرفع الضيم عن الخليفة شريف وأبناء ونساء المهدى على أن يتعهد الأشراف مقابل ذلك بتسليم أسلحتهم وطاعة الخليفة .

ولم يمض عشرون يوماً أو يزيد قليلا على الصلح وأنتهاء المواجهة المسلحة حتى قبض الخليفة على أهم قيادات الحركة - عدا الخليفة شريف- وهم أحمد سليمان أمين بيت المال فى عهد المهدى وفوزى وأحمد محمود كاتبا الخليفة عبدالله وأحمد النور كاتب الخليفة شريف فسجنهم فى امدرمان أياماً ثم أرسلهم إلى الزاكى طمل فى فاشودة فأعدموا ضرباً بالعصى جميعاً حتى الموت (١).

وأورد مكى شبيكة أن القاضى أحمد بدين حكم على بعض زعماء الأشراف المذكورين فى مجلس قضاة بالاعدام وقطع أيدى وأرجل البقية

(١) حول حركة الأشراف واعداماتهم أنظر نعوم شقير ص ٨٢٩ / مكى شبيكة السودان فى قرن ص ٢٥٤ / السودان عبر القرون ص ٣٢٥ / جهاد فى سبيل الله ص ١٤٧ وما تلاها .

منهم وتم الأعتراض فى المجلس على هذا الحكم وكان على رأس المعترضين السيد أحمد المكى فاستبدل الحكم بالنفى إلى بحر الجبل وبدأ بالفعل فى تنفيذ الحكم ، وهم فى طريقهم إلى المعتقل عقد أحمد بدين مجلساً آخر استصدر فيه حكم الاعدام عليهم (٢).

ويؤيد رواية مكى شبيكة حول موقف القاضى أحمد ما نقله على المهدى من اعتراض القاضى أحمد على مقترحات الصلح أثناء المواجهة وغلظته فى محاولة قفل باب المراجعة (٣) مما يعنى أن القاضى أحمد لم يرد لهم مصيراً غير الموت .

وأول ما يلاحظ على هذه التصفيات أن السلطة متمثلة فى شخص الخليفة قد حنثت بعهد واتفاق تم التوصل إليه فى خضم الصراع، وعمدت أولا إلى تهدئة المعارضين وتجريدهم من سلاحهم وقوتهم ومن ثم انقضّت عليهم . وحاولت أن تلبس الحكم شىء من العدالة باصداره من احدى مؤسسات الدولة التى تبدو على شىء من الأستقلال عن السلطة ممثلة فى الجهاز القضائى . ونلاحظ فشل السلطة فى استصدار أمر بالأجماع فى المجلس الأول الأمر الذى دفعها إلى نسخ الحكم الأول باستصدار حكم الاعدام الذى أخرجه القاضى أحمد بدين .

ويبدو أن الحنث بالعهد أثار لغطا فى أوساط الناس وأستنكار همسا أو جهراً فقد وصل الأمر للخليفة مما دفعه لتبرير موقفه فلم يجد الخليفة مخرجا الا باللجؤ إلى الحضرات النبوية فأصدر منشوراً حول حبسهم يقول فيه « ... ثم فى ضحوة هذا اليوم الذى هو الأربعاء الموافق ١٤ الجارى أيضاً حصلت لى حضرة اجتمعت فيها مع النبى عليه الصلاة والسلام والمهدى (عم) فقال لى المهدى (عم) بلغ الخليفة عليا والأحباب

(٢) مكى شبيكة السودان عبر القرون ص ٣٢٥ .
(٣) جهاد فى سبيل الله ص ١٥٩ .

الواقفين مع أشارتك السلام وقل لهم المهدى يقول لكم جزاكم الله خيراً عن ذلك . ثم أخبرنى (عم) بأن الأصحاب الذين وقفوا مع أشارتى فى المسألة التى حصلت قد نظر الله إليهم بعين الرحمة . ثم قال لى (عم) أن أحمد سليمان وأحمد محمد خير وسعيد محمد فرح وفوزى وأحمد وصالح سوار الدهب فليكن حبسهم فقلت للمهدى عليه السلام أن أهل الظاهر ينكرون على ذلك ويقولون عفا عنهم ثم حبسهم فقال لى المهدى (عم) أن الحق معك وأهل الباطن معك فأحبسهم واتل على الأصحاب المنشور المحرر منا فى حقك .. »

وحتى الحضرة النبوية وقول المهدى بحبسهم لم يتقيد به الخليفة فقد تجاوز آمر الحبس إلى الاعدام .

ثانيا : اعدام المنا إسماعيل ووالده وولده وأمين بيت ماله :

محمد المنا إسماعيل من أعيان الجوامعة ومن رجالات الطريقة السمانية المرموقين وكان ذا نفوذ عظيم وشهرة كبيرة . وتشير العديد من الشواهد أن المهدى التقى به قبل إعلان المهدية فى طور الدعوة السرية وأخذ معه العهود والمواثيق لنصرته .

وقد التف حول المنا اسماعيل العديد من أبناء قبيلة الجوامعة وقدر جيشه بعشرين الفا . وأسقط خامية التيارة ولعب دوراً كبيراً فى حصار بارا وساهم مساهمة كبيرة فى القضاء على حملة أنقاذ موجهة إلى الأبيض بقيادة على لطفى ومما يدل على قوة وكثافة جيشه أن أوكل إليه حصار الأبيض من جهة خور طقت .

وتجمع المراجع على أن المنا اسماعيل كان يطمح إلى موقع يتناسب مع قدره وتفانيه فى الجهاد [٤] لكن بعد أن أستقرت الأوضاع من ناحية

(٤) حول خلاف المنا واعدامه أنظر : سعادة المستهدى بسيرة الامام المهدى ص ١٩٨ / جهاد فى سبيل الله ص ٤٦ / نعوم شقير ص ٣٨٦ / المقاومة الداخلية لحركة المهدية ص ١٧١ / تاريخ كردفان السياسى ص ٣٠ .

ترتيب المواقع القيادية بعد فتح الأبيض وأحتل الخليفة عبدالله موقع أمير جيوش المهدية إضافة لموقعة كخليفة للصديق أبو بكر ثارت ثائرة المنا وتعبيراً عن احتجاجه سحب جيشه وغادر الأبيض حيث عسكر فى قريته ياسين ، فقد كان خلافه متصلا بموضوع الخلافة ومنصب الخليفة عبدالله على وجه الخصوص ، ويبدو مظهرا من مظاهر خروج المنا على المهدية أن أطلق يد رجاله فى التعدى على الناس ولم يضبطهم فكتب إليه المهدى يخطره بتوارد الشكاوى حول مسلك رجاله مشيراً إلى شرودهم بالغنائم وعصيانهم أمر الخلفاء وأمراء الرايات ، وضمن كتابه موعظة يتلوها على الناس [٥] ثم عزله المهدى من الأمارة . وقد أستعمل المهدى تعبير الرئاسة فى خطاب المنا ينصحه بتقبل العزل والصبر عليه على أنه حكم الله. « ... وأشكر فضله عليك إذ حماك وصرف عنك الرياسة وطوق بها غيرك. » [٦]

وعندما لم ينصع المنا وجه إليه المهدى أنذارا بتسليم القيادة والأموال إلى حامل الأنذار وأن يتوجه إليه بأقاربه فى مدة حددها بأربعة أيام . » [٧] وكان رسول المهدى عجيب الحمراوى فلم يستجب المنا .

أرسل المهدى جيشا ضم أكثر قواده العسكريين حنكة إذ ضم الجيش عبدالرحمن النجومى وأمراؤه وعبدالله ود النور وحمدان أبو عنجه ومن معه من الجهادية وراية حاج خالد وراية ولد أبى صفية ، وطوق المنا فأنفض عنه رجاله حين رأوا عظمة الجيش . وكان المنا ببيته . فخاطبه قادة الجيش بالخروج إليهم فقال أنه معتكف ومشغول برفع الدعاء إلى الله وذكره ، فدخلوا الدار وأوثقوه كتافا هو ووالده وولده وأمين بيت ماله وساروا بهم نحو الأبيض .

(٥) الآثار الكاملة للامام المهدى المجلد الأول ص ٢٦٨ .

(٦) المرجع السابق ص ٢٧٢ .

(٧) المرجع السابق ص ٢٩٠ .

وعند التياره قابلهم أحمد الطليعة يحمل أمرا من المهدى بقتل الفكى المنا ومن معه فقتلوا جميعا [٨]. ومن المحزن أن يلقى مصرعه فى البقعة التى شهدت أول أنتصاراته فى مناصرة المهدية .

وفى ظننا أن المنا كان يأمل فى حلم المهدى به ، وتداركه لأمر تهميشه ، صحيح أنه خالف أوامر المهدى بالخروج إلى قريته دون اذن كما لم يقم بتسليم الأموال مثلما أمره ولم ينصاع لأمر الرجوع إلى الأبيض ، الا أن المنا لم يتخذ موقفا عسكرياً جادا يهدد المهدية وأكتفى بالقبوع فى قريته ياسين .

ومما يبدو أن المنا كان يعتمد على سبوقه فى الايمان بالمهدية فى مرحلتها السرية وابلائه فى سبيل نصرتها إضافة لاخويته السابقة لمحمد أحمد المهدى فى أعتناقهم لطريقة صوفية واحدة وهى الطريقة السمانية .

وقد أورد محمد محجوب مالك أن هناك رأيا يقول بأن الخليفة عبدالله هو الذى أصدر الأوامر بقتلهم دون أستشارة المهدى [٩] وليس من المستبعد هذا القول خاصة وأن الأمر يتعلق بمنصبه ومركزه ، ومن قبل عهد إليه المهدى بأمر فخر الدين المعلاوى مدعى الخلافة فسجنه وأعدمه .

وقد نهى المهدى فيما بعد مادحه ود التويم من ترديد بيت شعر يقول :

التبعك فاز واتهنى   والخالف يذوق حال المنا

نهاه المهدى عن ذلك وبدل له الشطرة الأخيرة وقال له أنه قد عفا الله عن المنا وطهره وصارت أخرته سليمة [١٠].

---

(٨) جهاد فى سبيل الله ص ٤٦ .

(٩) المقاومة الداخلية لحركة المهدية ص ١٧٢ .

(١٠) جهاد فى سبيل الله ص ٤٦ .

ثالثا : الاعدامات المترتبة على محاولة قتل الخليفة عبد الله (يوليو ١٨٩٢) :

في يوليو سنة ١٨٩٢ أئتمر نحو ٧٠ رجلاً من التعايشة على قتل الخليفة عبدالله وذكر نعوم شقير أن تدبيرهم هذا أخذا بثأر زعيم التعايشة الغزالى أحمد خوف الذى قتله رجال الخليفة عند هربه من امدرمان [١١] بينما ذكر ابراهيم فوزى أن قائد المحاولة عبدالمولى صابون - وقد كان قائداً لجهدية ام درمان وقد عزل - على حلف سرى مع الخليفة شريف [١٢] وقد وشى بالمتآمرين واحدا منهم وقبض عليهم وتم نفيهم إلى الرجاف حيث تم اعدامهم [١٣] .

وقد قبض أثر هذه المحاولة على اثنين من كبار الأشراف وهم عبدالقادر ساتى والسيد محمد عبدالركريم ووجهت لهما تهمة أغراء الناس بشق عصا الطاعة - حسب نعوم شقير - بينما ذكر على المهدى في جهاد فى سبيل الله أنهما حوكِما فى تهمة الاشتراك فى فتنة الأشراف التى حدثت العام الماضى [١٤].

ويبدو أن للامرين صلة فلا يستغرب أن يعمد خصوم الخليفة للتحالف فى سبيل الاطاحة به ، وليس من المستبعد أن يبحث التعايشة المتآمرين على سند من الأشراف الذين لم تجف دماء رجالهم بعد .

ويتفق المرجعان على أنه قد تم تنفيذ حكم الاعدام فى الشريفين المذكورين على يد الزاكى طمل ضربا بالعصى - حسب جهاد فى سبيل الله - وضربا بالفؤوس حسب نعوم شقير [١٥].

---

(١١) نعوم شقير ص ٨٣٤ .

(١٢) ابراهيم فوزى السودان ص ٢٨٣.

(١٣) المرجع السابق ص ٢٨٣.

(١٤) نعوم شقير ص ٨٣٤ / جهاد فى سبيل الله ص ١٧٦ .

(١٥) نعوم شقير ص ٨٣٤ / جهاد فى سبيل الله ص ١٧٦ .

رابعاً : اعدام عجيل ود الجنقاوى :

عجيل ود الجنقاوى أحد زعماء الرزيقات وتولى نظارتهم لفترة من الزمن فى عهد التركية بدلا عن مادبو على ، وقد بايع المهدى ولكن رغما من مبايعته فلم يكن الخليفة عبدالله مطمئنا له وإلى ولائه للمهدية ، بينما ناصر مادبو المهدى وعينه عاملا على دارفور .

ونعتقد أن عجيل قد أعدم نتيجة صراع على مستوى من مستويات السلطة فلا شك أن الرجل يتقاسم النفوذ مع مادبو على قبيلة الرزيقات القوية . وقد ارادت حكومة المهدية المجال خاليا لزعيم موالى لها وازاحة أى منافس محتمل له .

ولا تخلو من الحقيقة أشارة نعوم شقير للمنافسة بين الخليفة وعجيل تلك التى نفاها أبو سليم فى تعليقاته على كتاب نعوم تاريخ السودان[١٦] . فقد أثار الموقع والمركز الذى احتله الخليفة عبدالله حفيظة العديد من الزعماء التقليديين فقد كان كثير من الزعماء ينظرون نظرة استخفاف للخليفة عبد الله الذى لم ينحدر من بيت زعامة معروف فكانوا يستخفون بأوامره ويعيقون تنفيذها . وربما حجب الصراع المباشر بين عجيل ومادبو حول زعامة الرزيقات هذا الجانب من الصراع [١٧].

---

(١٦) نعوم شقير ص ٩٧٠ .

(١٧) فى اعدام عجيل انظر نعوم ص ٣٨٧ / المقاومة الداخلية لحركة المهدية ص ١٧٢.

الفصل الخامس

اعدامات كبار موظفى الدولة

ظهرت الاعدامات بين كبار رجال الدولة المهدية بعد أن أمن الخليفة عبدالله السلطة بين يديه فقد أكتملت اجراءات تهجير القبائل وعلى وجه الأخص عشيرته أبناء التعايشة سنة ١٨٨٩ وتم القضاء على التمردات والعصيانات المختلفة وقضى على منافسة الأشراف وأستتب له الأمر عام ١٨٩١م.

وقد ترتبت هذه الاعدامات نتيجة الصراع داخل الشريحة الحاكمة فقد كان صراع الحظوة والنفوذ بين أفرادها قد تفجر بعد القضاء على الأخطار الرئيسية . ويبدو أن الصراع حول الثروة والتكالب عليها قد لعب دوراً كبيراً حيث نلاحظ أن من يطاح به من رجال الدولة يتم أقتسام أمواله ونسائه وزراريه.

وقد لعبت بطانة الخليفة عبدالله من أقاربه دوراً كبيراً فى تدبير هذه التصفيات فيقف الأمير يعقوب أخ الخليفة وراء ثلاثة اعدامات شهيرة وهى اعدام الزاكى طمل القائد المرموق والقاضى أحمد على قاضى الإسلام وإبراهيم عدلان أمين بيت المال كما قُضى على القاضى الحسين الزهراء لعدم أستجابته لأهوائهم فى أحكامه القضائية.

لعبت الدسائس والوشايات دوراً فى تصفية الصراعات . ولا تشذ حكومة المهدية هنا عن بلاطات العصر الوسيط وما يدور فيها فهذه الاعدامات كانت بمثابة اداة من أدوات تركيز السلطة وتضييق دائرتها ، وقد نفذت على رجال كانوا فى يوم من الأيام هم أنفسهم يد الخليفة

الباطشة فى مواجهة خصومه ، فمثلا كان القاضى أحمد على هو مهندس اعدامات الاشراف والزاكى طمل هو منفذها فى فاشودة ودارت الدائرة على الزاكى طمل فكان القاضى أحمد على من مدبرى قتله وفى بعض الروايات جلاده . ثم دارت الدائرة على القاضى أحمد ولقى مصرعه بنفس الطريقة التى نفذت على الزاكى.

أولا : اعدام الزاكى طمل صبراً : (١٨٩٣)

كان الزاكى قائداً مرموقاً ومن المقربين للخليفة عبدالله فقد كان صاحب الأنتصار العظيم الوحيد من أنتصارات المهدية فى حروبها الخارجية على الحبشة . ويبدو أن المكانة التى أحتلها قد أثارت نغمة حاشية الخليفة وأبناء قرابته وإجتمع على مجده ما أشيع عن ثرائه العريض وما جمعه من أموال هائلة من حروب الحبشة.

ويذكر أبو سليم أنه «أطاح يعقوب أولاً بالزاكى الذى قد انتصر على الحبشة فى واقعة القلابات المشهورة واتهم بجمع أموال هائلة والتدبير للأستقلال بمنطقته وقدقاد الحملة عليه القاضى أحمد والأمير أحمد على وأخرون من المقربين حتى قبض عليه وجرد من أمواله ونسائه وسجن حتى مات جوعا) [١].

والأمير أحمد على المذكور هنا هو أحد أقرباء الخليفة وقد نافس الزاكى فى خلافة حمدان أبو عنجة فى قيادة الجيش ولكن لم تسعفه قدراته العسكرية فولى الخليفة الزاكى .

كانت التهمة الأساسية الموجهة للزاكى هى تدبير الأستقلال عن الدولة المركزية ووصل الحد بمنافسيه إلى أتهامه بمخابرة الطليان سرا لتسليمهم القضارف وما حولها والانحياز لهم [٢].

---

(١) أبو سليم الحركة الفكرية فى المهدية ص ١٨٥ .

(٢) على المهدى جهاد فى سبيل الله ص ١٢٤ .

وحاول على المهدى فى جهاد فى سبيل الله أن يبرىء الخليفة عبدالله من قتل الزاكى وأن يحمل القاضى أحمد وزر اعدامه و ذلك لأن القاضى أحمد «كان حانقا عليه من مدة فأمر بسجنه سجنا مشددا ووضعه فى مكان مظلم ومنع الأكل عنه فى حين أن الخليفة لم يكن عارفا بالأمر الا بعد موت الزاكى»(٣).

ولا يستقيم ما ساقه على المهدى مع ما عرف عن الخليفة بالمامه بأدق تفاصيل دولته فى الأقاليم دع عنك سجن الساير الذى يقع على بعد خطوات منه كما لايستقيم أن يجرؤ القاضى أحمد بدين على أصدار حكم على الزاكى لم يوافق عليه الخليفة خاصة مع مكانة الزاكى السامية لدى الخليفة قبل محاكمته .

ويناقض المصدر المذكور نفسه حين يذكر «لما علم الخليفة بموته استغرب كثيراً وسأل عن سبب موته فقيل له حبس البول فإرتاب فى ذلك لأنه كان ينتظر أن يرفع إليه أمر مرضه عندما شعر به ، لأنه كان كثير السؤال عنه لأعتقاده بأنه برىء (٤).

يقرر المصدر أن الخليفة كان كثير السؤال عن الزاكى ، فهل يستقيم مع كثرة السؤال أن يجرؤ أحداجابة الخليفة بغير الحقيقة ، وأن كان الخليفة يسأل عن الزاكى فى سجنه فهو بلا شك لا يسأل القاضى أحمد أنما يسأل أدارة السجن الممثلة فى أبناء الساير والخليفة كان على أتصال دائم بالسجن وترفع له التقارير عنه خاصة بعد أن أودع فيه بعض الأسرى بعد تكرر حوادث الهرب من امدرمان.

ونقل نعوم شقير مقتطفاً من خطاب الخليفة لمحمود ود أحمد أمير الفاشر حول الزاكى يوضح فيه « أن التشكيات من الأنصار كثرت حوله

---

(٣) المرجع السابق ص ١٢٥ .

(٤) المرجع السابق .

وتضرروا كثيراً من عنفه وتغير أحواله » .

وعندما أستدعاه أتضح « أن به عارضا وقيل أنه كان معه من سابق الا أنه أشتد عليه فى هذا الوقت وبأسباب ذلك أجرينا زجره وحبسه بالمشورة فإن طاب وشفى من ذلك العارض فبها والا فتصير معالجته منه إلي أن يقدر الله الشفاء أو يقضى أمرا كان مفعولاً » (٥). والعارض فى اللغة الشعبية المتداولة هو أن يكون الشخص ممسوسا بالجان أى أن الزاكى كان مسكونا بجن حسب تقدير الخليفة .

وقد كتب مرة أخرى إلى محمود حول موت الزاكى يقول : « أنه هلك فى السجن على صفة فظيعة وحالة شنيعة وأنه بمجرد خروج روحه أشتعلت النار فى جسمه وأسود وجهه والعياذ بالله) (٦).

ثانياً : اعدام القاضى أحمد على صبراً ١٨٩٤ :

تولى القاضى أحمد على المعروف بأحمد بدين منصب قاضى الإسلام بعد أستشهاد قاضى الإسلام الأول فى عهد الإمام المهدى أحمد جبارة . ولم يلمع نجم القاضى أحمد الا بعد وفاة المهدى فلم يكن من المقربين إليه لكن فى عهد الخليفة بعد أن أستغنى عن نظام الأمناء أحتل القاضى أحمد مكانا مرموقا وبارزا فى النظام إضافة لأمارته على رايته وقد كان معروفاً بالدهاء وأستعان به الخليفة فى تصفية خصومه وكان متهما فى ذمته المالية وجمع أموالا كثيرة من الرشوة وله مداخلات بالضربخانة (سك العملة) متحيزا لفريق دون الآخر . وكان يكاتب جباة الضرائب فى الأقاليم باعفاء الموالين له ونتج عن ذلك أن أنضم لرايته اعدادا كبيرة من الناس (٧).

---

(٥) نعوم شقير ص ٨١٩ .

(٦) المرجع السابق ص ٨١٩ .

(٧) المرجع السابق ص ٨٤٠ .

وسماه البعض بقاضى الدنيا وهو اسوأ ما يسمى به قاضى الشريعة وكان موقفه قويا عندما كان الخليفة وبطانته يصارعون الأشراف وزعماء القبائل ، فلما جرد هؤلاء وأنتهى أمرهم بدأ الصراع داخل البطانة من أجل الحظوة والنفوذ . وكانت الخطوة الاولى عندما رفعه الخليفة عن امارة رايته [٨].

وترصده الأمير يعقوب وسلط عليه بعض القضاة إلى أن اثبتوا عليه تعاطيه الرشوة فقبض عليه وجرد من أمواله ونسائه وسجن فى نفس الغرفة التى سجن فيها الزاكى طمل ومنع عنه الطعام حتى مات [٩].*

ثالثا : اعدام الحسين الزهراء صبراً ١٨٩٥ :

خلف القاضى الحسين الزهراء القاضى أحمد بدين فى القضاء متوليا منصب قاضى الإسلام عُرف بالعدالة والطهر ونظافة اليد وكان عالما مرموقا وشاعرا مشهوراً وكان من الذين نافحوا عن المهدية بالفكر فألف رساله ردا على علماء الخرطوم اسماها « الآيات البينات فى ظهور مهدى الزمان والغايات . » وكان فى أدائه كقاضى ذو رأى مستقل لا يحكم بمنشورات المهدى إذا تعارضت مع أحكام الشريعة ومتشددا فى أنفاذ الشريعة واصدر أحكاما لم ترض بطانة الخليفة كانت سببا فى سجنه ومنعه الطعام حتى مات [١٠].

وبعض هذه القضايا والأحكام : القضية المعروفة بتصفية أموال أهالى دنقلا التى أخذها الأمير يونس الدكيم وأمره القاضى الحسين بردها لأهلها فأمتنع يونس . كذلك قضيتين متشابهتين تتعلقان بأموال شخصين ماتا ببلاد العدو فاستولى عمال المهدية على الأموال باعتبارهما غنيمة

(٨) أبو سليم الحركة الفكرية ص ١٨٥ / ١٨٦ .

(٩) مكى شبيكة السودان عبر القرون ص ٣٢٨ / السودان فى قرن ص ٢٥٦ .

(١٠) فى اعدام القاضى أحمد انظر إبراهيم فوزى الجزء الثانى ص ٣٢١ .

فحكم الحسين بأعطاء الأموال للورثة . وأيضاً رفضه لشهادة الجهدية فى حادثة اعتدائهم على أهالى وادى شعير وقتلهم لبعضهم . إذ زعم الجهادية أن أهالى الوادى قتلوا بعضهم كذلك . وكان فى كل القضايا المذكورة يخالف بقية أعضاء مجلس القضاء ويتمسك برأيه (١١) فدفع ثمن أرضائه لضميره موتاً فى سجن الخليفة.

رابعاً : اعدام إبراهيم ود عدلان أمين بيت المال (شنقا):

تولى إبراهيم ود عدلان أمانة بيت المال بعد عزل أحمد سليمان أمين بيت المال فى عهد المهدى . وقد أدخل إبراهيم اصلاحات كبيرة على بيت المال ونقله من مكانه الأصلى إلى شاطىء النيل لتسهيل عمليات النقل ، وأحسن أدارته، وضرب الريالات مازجا الفضة بالنحاس . وقد ظل فى منصبه إلى أن قدم البقارة المهاجرين إلى ام درمان ونفذ الموجود من ذرة وأقوات من بيت المال. وقد قدر على المهدى ما استهلكوه فى فترة وجيزة بنحو نصف مليون أردب (١٢). فطلب منه الخليفة أن يذهب إلى الجزيرة ويجلب الذرة من أهاليها فذهب وجاء بجزء من المطلوب فأمره الخليفة بالرجوع مرة أخرى فأعترض بحجة أن الذى بقى لدى الأهالى لا يكفى بحاجتهم فذهب وعاد دون أن يحضر أى شىء (١٣).

وقد كلف الخليفة شخص آخر هو أحمد السنى فعاد بالمطلوب من الذرة وكان هذا بمثابة أدانة لإبراهيم.

قدم إبراهيم للمحاكمة برئاسة الخليفة على ود حلو فحكم باعدامه شنقا ونفذ فيه الحكم سنة ١٣٠٧ هجرية.

---

(١١)جهاد فى سبيل الله ص ١٢٦ / ١٢٧.

(١٢) المرجع السابق ص ١٤٥.

(١٣) فى اعدام إبراهيم ود عدلان انظر نعوم شقير ص ٨٠٨ الحركة الفكرية ص ٤٨ إبراهيم فوزى ص ٢٠٨ .

وتذكر العديد من المصادر أنه كان على خلاف مع الكثيرين وكان محسودا من بعضهم لثرائه وعلى رأس خصومه كان يقف الأمير يعقوب ولم تظفر السلطة بأمواله التى أخفاها بخروجه من السجن ورشوته للسجان ثم عاد ليواجه مصيره (١٤).

خامساً : مقتل أسماعيل عبدالقادر الكردفانى ١٨٩٧ :

أسماعيل الكردفانى كان من القضاة المهمين فى عهد الخليفة عبدالله وقد ورد توقيعه على العديد من وثائق الأحكام الهامة مثل وثيقة أدانة الخليفة شريف ووثيقة أيلولة المراكب والمشارع إلى بيت المال (١٥).

وهو مؤلف كتابى (سعادة المستهدى بسيرة الإمام المهدى) و «الطراز المنقوش فى قتل يوحنا ملك الحبوش » وقد وضعهما أسماعيل بتكليف من الخليفة عبدالله وقد أتخذ جانب الخليفة فى صراعه مع الأشراف لكن دارت عليه الدوائر عام ١٨٩٣م وأرسل منفياً إلي الرجاف وقد بقى مسجوناً في أشد الضيق والعناء حتى مات سنة ١٨٩٧م وذكر أن مرفعيناً أختطفه وهو ملقى لا يستطيع حراكا.

وقال أبو سليم عن مصيره «تلك ولا شك مصرع بشع لمفكر عظيم ونهاية محزنة لعالم مال إلى المهدى طوع أرادته وقدم للمهدية قاضيا وعالما لسنوات طويلة وكتب سيرة المهدى وصنف أمجاد الخليفة» (١٦).

مات أسماعيل الكردفانى بطريقة لا تختلف عن سابقيه الذين منعوا عن الطعام سواء عمدا وبتدبير أو قلة الأقوات بالرجاف ففى النهاية لم يمت الأنصار المرابطين هناك جوعاً كما كتبت النجاة للسيد خالد زقل الذى كان رفيقه فى المنفى وتبقى السلطة مسئولة عن موته.

---

(١٤) إبراهيم فوزى ص ٣٠٢ .

(١٥) أبو سليم الحركة الفكرية ص ٢١٢ .

(١٦)المرجع السابق .

وأسباب قتله لا تخرج عن الوشايات من المنافسين حيث شهدوا عليه بالتفوه بعبارات تقلل من قدر الخليفة وتتحدث بجهله وظلمه وأدوا القسم بشهادتهم وكان على رأس هؤلاء القاضى أحمد إذن كانت تهمته الحط من قدر السلطة ممثلة فى شخص الخليفة عبدالله وقد قيل أن السبب فى نكبته أنه ملأ السيرة التى كتبها بكثير من المغامز والتوريات التى تدور فى نفس فلك التهمة إضافة لعدم إبرازه لدور قادة البقارة بصورة مرضية كما أنه كان متسامحا ازاء المخالفين لأمر المهدية فلم يطلق عليهم صفة الكفر وقد أمر الخليفة بحرق كتابه سعادة المستهدى فلم تنج منه سوى نسخة واحدة أخفاها أحد الكتاب (١٧).

سادسا : اعدام حامد ود جار النبى شنقا :

ود جار النبى فارساً مشهورا فى راية الخليفة ود حلو وقد كان له دوراًفى نكبة البطاحين إذ هو العامل الذى أرسله الخليفة لاستدعائهم ونتيجة للوشايات والمكايد أقصاه الخليفة ود حلو بعد أن كان مقربا له جداً فأستاء ود جار النبى وهجر راية الخليفة ود حلو إلى راية الأمير يعقوب وأطلق لسانه فى ذم الخليفة ود حلو والأستخفاف به. فحوكم فى مجلس قضاة بالاعدام شنقا ونفذ فيه الحكم . ونلاحظ أن تهمته تطابق التهمة التى حوكم بها أسماعيل الكردفانى إذ اتهم كلاهما بتحقير السلطة والتقول عليها.

وفى طريقة للمشنقة طلب حامد أن تفك قيوده وأصّر على ذلك فرفع الأمر للخليفة فأمر بأن يقطعوا كعبى قدميه ويخرجوا القيد منهما بلا فتح ففعلوا وواجه مصيره بشجاعة مشهودة (١٨).

(١٧) نعوم شقير ص ٨٣٩ .

(١٨) فى اعدام ود جار النبى انظر نعوم شقير ص ٨٣٧ وسلاطين ص ١٩٧ .

الفصل السادس

اعدامات تمردات الجهادية
فى حقبة المهدية

كان من التكوينات الأساسية فى الجيش فى عهد التركية قوات الجهادية السود ،وتتفق المراجع على أنه من الأسباب الأولى لغزو محمد على باشا للسودان أمداد جيشه بالرجال من السود الذين أشتهروا منذ أيام الفراعنة بصلاحيتهم للجندية وشدة بأسهم فى الحروب (١).

وكان المصدر لامداد الجيش من هؤلاء الرجال الشجعان حملات الأسترقاق وعلى مدى الحكم التركى تكون عصب الحاميات منهم وتلقوا تربية عسكرية وتعليم حربى ورقى بعضهم مدارج الجندية حتى وصل إلى رتبة اللواء واحتلوا كثيرا من رتب الضباط الصغرى والوسيطة.

وهؤلاء الجنود ينتمون لقبائل سودانية من الدينكا والفور والنوبة وغيرهم ، ويبدو أنهم قد حققوا فى وحدة الحياة بينهم فى مصر والسودان قدراً كبيراً من التمازج والأنصهار. وقد حرصت السلطات على تزويجهم من النساء اللائى تم استرقاقهن. ومع مر العقود فى حكم التركية السابقة تكون منهم مزيج سودانى يتجاوز حدود القبيلة ولعل فى ذلك يمكن سر وحدتهم وتضامنهم.

وعلى الرغم من اعتراف الجميع ببسالة هؤلاء الرجال وشجاعتهم الا أنهم كانوا دائما عرضة للاضطهاد العرقى ويبدو لنا أن تداخل هذا الجانب قد أدى لتفاقم ثورتهم فى كسلا سنة ١٨٦٥ ، فعندما عصوا أوامر التحرك التى صدرت لهم وطالبوا بصرف مرتباتهم المتأخرة لستة

(١) نعوم شقير ص ١٩٤ .

شهر قال خطاب أفندى قمدنان الأورطة « أأصبح للعبيد شأن يعصون به الأوامر فوالله لأسوقنهم بالسياط » . وبلغهم هذا القول الصفيق ولماجاءهم خطاب ونادى بهم (سلاح آل) هجموا عليه وأوسعوه شتما وضربا بالعصى وكان نساؤهم من ورائهم يشجعن ويزغردن فلجأ خطاب للفرار (٢).

ولم ينج أنصار المهدية من هذه النظرة المتعالية لهم كرقيق . فنجد مؤرخ المهدية فى عصرها الشيخ إسماعيل عبدالقادر الكردفانى فى كتابه سعادة المستهدى بسيرة الإمام المهدى يصفهم بالعبيد فيذكر حول نهاية تمرد جهادية الأبيض (وقد أرسل حمدان أبو عنجة رؤوس بعض العبيد المذكورين لبقعة المهدى) (٣).

ولابد من الأشارة للقوة الضاربة التى زودوا بها جيش المهدية بعد أسرهم ومن ثم انضمامهم لجيوش المهدية فقد كانوا القوة التى بيدها السلاح النارى وقاموا بدور كبير فى التدريب على أستعماله وعلى وجه الأخص المدفعية فإن كانت البنادق تتوفر لدى السودانيين فى ذاك العهد فإن المدافع كانت بالطبع حكرا للدولة ، ولا مجال لذكر فائدتهم لجيوش المهدية فى هذا الحيز.

ونستعرض فيما يلى أشهر تمرداتهم فى عهد المهدية وما نالوه من اعدامات فى عهدها :

١ / أبادة جهادية الأبيض وذبح زعمائهم (أغسطس ١٨٨٦):

هم قسم من الجهادية تركهم المهدى عندما غادر الأبيض فى أتجاه الخرطوم وأنضم إليهم عدد من جهادية داره فارتفع عددهم إلى ثلثمائة جهادى . وقد تراكمت مجموعة من المظالم عليهم ، ولدت فيهم العداء للمهدية فبعد أن اسرتهم قوات المهدية تم أستخدامهم فى بناء المنازل

(٢) نعوم شقير ص ٢٣٨ .
(٣) سعادة المستهدى ص ٢٦٦ .

على نحو ما يفعل الأتراك وأحسوا كأن هذا نوع جديد من الأسترقاق ، أضف إلى ذلك أن أوضاعهم المادية كانت على نحو أحسن زمن التركية بفضل المرتبات التى كانوا يتقاضونها كجنود ولأنها ثابتة وكانوا فى وضع معيشى أفضل [٤] وأخيراً تفجر تمردهم الذى أرجعه عوض عبدالهادى العطا إلى الشعور السائد بين هؤلاء بأن العرب ينظرون إليهم نظرة أستحقار.

أستولى الجهادية على ترسانة الأبيض وأعلنوا العصيان وخرجوا من الأبيض بنسائهم حتى وصلوا جبل النما ورفعوا راية الخديوية وعينوا على يوسف رئيسا عليهم.

وهزم الجهادية قوة من الأنصار بقيادة الأمير محمود عبدالقادر الذى عاد من ام درمان بعد أن لبى نداء الخليفة بالشخوص إليه بعد وفاة المهدى وطلب الأذن منه بالعودة وقتل فى هذه الواقعة الأمير محمود . وتوغل الجهادية جنوباً ونزلوا في جبل السّما . فأمر الخليفة حمدان أبو عنجة بمطاردتهم (طاردهم حمدان وأوقع بهم موقعة أنفرط عقدهم بعدها وتبع شراذمهم يبيدها الواحدة تلو الأخرى حتى قضى عليهم وفصل رؤوس زعمائهم وأرسلها إلى ام درمان لتعلق فى السوق أياما) [٥].

ويذكر إبراهيم فوزى أن حمدان أبو عنجة قد قتلهم عن بكرة أبيهم [٦]. الأمر الذى يتفق مع تعبير د . مكى شبيكة اعلاه فى أشارته لابادتهم . وقد قدر عددهم نعوم شقير بـ ١٠٠٠ رجل وذكر أن الأسرى منهم ٤٠ رجلا مما يعنى أن البقية قد تمت أبادتهم [٧]. وتتفق المصادر فى أن رؤوس زعمائهم قد فصلت عن أجسادهم وعلقت فى سوق ام درمان .

(٤) عوض عبدالهادى / تاريخ كردفان السياسى ص ٤٩ وص ٥٠ .
(٥) مكى شبيكة السودان عبر القرون ص ٣٣٥ .
(٦) إبراهيم فوزى الجزء الثانى ص ١٠٢ .
(٧) نعوم شقير ص ٧١٠ ، ٧١٣ .

والقادة هم على يوسف وبشير على وسرور النور .

٢ / اعدام جزء من جهادية الأمير عبدالرحمن النجومى :

عندما وصلت جيوش ود النجومى إلى دنقلا كان من ضمنها أعداد كبيرة من الجهادية وتآمروا على التمرد وشق عصا الطاعة ، وكان قوادهم ادم كرامة وسرور واتفقوا على مهاجمة الأنصار فوشى بهم أحد المتآمرين وهو الملازم ثانى عبدالله محمد فقبض عليهم وضربت أعناقهما مع عشرين آخرين [٨].

٣ / اعدام قادة تمرد الجهادية فى النهود يوليو ١٨٩١ :

فى ولاية محمود ود أحمد على دارفور حصلت مجاعة فى الفاشر فأنتقل محمود بجيشه إلى النهود . وهناك انفجر تمرد أخر للجهادية سببه سؤ معاملة التعايشة لهم وتعاليهم عليهم وأطلاقهم للألفاظ النابية عليهم . وقام الجهادية بأعمال تخريبية فى سوق النهود وكان مخططهم القضاء على التعايشة فى ميدان الأستعراض رابع أيام عيد الأضحى. لكن محمود ود أحمد تمكن فيما يبدو من أستمالة بعضهم ثم قبض على تسعة من قادتهم وقدمهم للمحاكمة التى قضت باعدامهم ونفذ حكم الاعدام فى ثمانية منهم بينما أعفى واحدا استغاث ساعة تنفيذ الحكم مؤكدا ولاءه لمحمود [٩].

ومن الواضح أن هذا التمرد كان واسعا فقد منع محمود ود أحمد من تنفيذ مخططه بالذهاب إلى جبال النوبة لفك ضائقة الجيش من الغلال رغم استئذانه الخليفة وعزى محمود سبب تمرد الجهادية إلى طول بقائهم فى كردفان ودارفور بعيدين عن مركز الهداية فى ام درمان [١٠].

---

(٨) إبراهيم فوزى الجزء الثانى ص ١٧٦ .
(٩) تاريخ كردفان السياسى ص ١٤٨ نعوم شقير ص ٨٢٣ .
(١٠) د. موسى المبارك تاريخ دارفور السياسى ص ١٨٥ .

الفصل السابع

اعدامات الاسرى

أمتدت يد الحكومة المهدية فى مناسبات مختلفة إلى قتل الأسرى خاصة فى أتون الثورة وتحركات الجيش وفى مواجهة التمردات ذات الخطر وغالبا ما تكون تهمتهم التخابر والمراسلة مع جهات معادية أو فى حالة عدم الادلاء بمعلومات معينة فقد مات عدد من ضباط الأدارة التركية تحت التعذيب عندما رفضوا الادلاء بأماكن أموالهم المخبأة بعد سقوط حامياتهم.

١ / اعدام سعيد باشا مدير كردفان وبعض موظفى الإدارة التركية (فبراير ١٨٨٣):

بعد حصار الأبيض ووقائعها أستسلم سعيد باشا ووقع فى الأسر هو ومجموعة موظفى سلك الإدارة والجيش بالمديرية وبعد فترة من التسليم تم توزيع هؤلاء على عدد من الشيوخ لتنفيذ حكم الاعدام عليهم فسلم سعيد باشا والصاغ محمد جمعة إلى الشيخ أسماعيل ود الأمين شيخ الغديات وسلم على بك شريف ونظيم أفندى إلى الشيخ نوّاى شيخ الحوازمة وأحمد بك دفع الله ومحمد ياسين ناظر قسم خورس سلما إلى مادبو . وسلم عثمان سليمان ومسلى حسين إلى شيخ الحمر مكى ود ابراهيم وقتل المذكورون جميعا.

وهناك خلاف حول سبب اعدامهم لكن أقوى الروايات هى التى تقول بمراسلتهم للحكمدار عبدالقادر باشا حول الأسباب التى حملتهم على التسليم ووقع هذا الخطاب فى يد المهدى نتيجة لوشاية أحد الموقعين على الخطاب وهوالملازم يوسف منصور وكيل بوليس الأبيض الذى خاف

من افتضاح الأمر [1] وعواقبه وقد أقنع القائم مقام محمد بك أسكندر بأن يفعل مثله فنجا الأثنان من الاعدام .

٢ / اعدام مدير كسلا وبعض الموظفين والتجار (١٨٨٥):

بعد تسليم حامية كسلا أودع عثمان دقنة مديرها أحمد بك عفت السجن ومعه إبراهيم أفندى شوقى الشركسى باش معاون المديرية والسر سوارى حسن أغا سليمان الأرناؤطى وثلاثة من التجار وهم الخواجة استيلو الرومى والخواجة بدروس الأرمنى وعلى جاويش الحجازى وبعد يومين عفا عن إبراهيم شوقى وعلى جاويش وقطع رؤوس الباقين .

ويتفق كثيرون أن أسباب قتلهم عثور عثمان دقنة على أوراق فى حوزة قتلى الأحباش فى كوفيت بينها خطاب من المذكورين يستحث الرأس الولا لنجدتهم ويلعنون المهدى وأصحابه [2].

٣/ ضحايا التعذيب فى البحث عن الأموال من الأسرى ٨٨٨٤:

أخفى بعض الضباط والموظفين أموالهم بعد سقوط الفاشر والأبيض ورفضوا الادلاء بمكانها فكان مصيرهم التعذيب جلدا بالسياط فمات الصاغ حمادة أفندى نتيجة الضرب المبرح [3] وانتحر على سعيد أغا وإبراهيم أغا برل ومات فى الأبيض تحت الضرب أحمد شلبى وكيل أشغال المديرية [4]. وكتب لمحمد المليجى متعهد (سلخانة الميرى) النجاةعندما أعترف بأمواله.

٤ / اعدام الشيخ حولى زعيم حلة مندر ١٨٨٤ :

فى سرية عبدالرحمن النجومى وحمدان أبو عنجة على جبل الداير

(١) فى اعدام أسرى الأبيض انظر سعادة المستهدى بسيرة الامام المهدى ص ٢١٩ / نعوم شقير ص ٣٨٣ / إبراهيم فوزى ص ١٢٧ .
(٢) نعوم شقير ص ٦٥٢ إبراهيم فوزى ص ٩٢، سلاطين ص ١٤٦ .
(٣) نعوم شقير ص ٤٠٩، سلاطين ص ٩٤ .
(٤) نعوم شقير ص ٣٨٢ .

تجمع أهل حلتى مندر والعين أستعداداً للحرب ونزل رئيس حلة مندر إلى الأنصار وأسمه حولي وكان قبل نزوله رفع النساء والزرارى والأموال بأعلى الجبل وأتى بنفسه لينظر فى الأمر وذكر أسماعيل عبدالقادر الكردفانى أنها (فلما تحقق للأصحاب خيانته أسروه وأخذ عبدالرحمن النجومى هذا الرجل معه ليدله على مكان أهله فى الجبل فامتنع عن ذلك فأمر عبدالرحمن النجومى بضرب عنقه . فقتل) (٥).

فى أثناء تمرد الشيخ صالح زعيم الكبابيش أرسل عددا من رجاله لأحضار السلاح والذخيرة من جيش الحدود التابع للخديوى فعادت القافلة محملة بالسلاح والذخيرة وفى رفقتها التاجر المغامر نيفلد النمساوى وكان عبدالرحمن النجومى يترصد القافلة إلى أن أطبقت قوة من رجاله عليها فاقتتلوا معها ووقع فى أسرهم ٤٣ رجلا من بينهم نيفلد شق عبدالرحمن النجومى شقا فى سوق دنقلا وأعدم الأسرى جميعهم عدا النمساوى ودفنهم فيه وذكر النجومى فى خطابه للخليفة أنه حكم عليهم بالاعدام (قهرا لسيدهم المخذول وأرهابا لغيرهم) (٦).

---

(٥) سعادة المستهدى ص ٣١٢ .

(٦) تاريخ كردفان السياسى ص ١٠٩، نعوم شقير ص ٧١٨، إبراهيم فوزى ص ٩٢، سلاطين ١٤٦ .

الفصل الثامن

الجذور التاريخية للتقاليد العقابية في دولة المهدية

نعالج في هذا الفصل متابعة جذور التقاليد العقابية في دولة المهدية. فقد تلخصت وسائل تنفيذ الاعدام في حقبة المهدية في / الموت صبراً - وعقوبة الاعدام ضربا بالعصى / والحد بالسيف والمشنقه مع الصلب / وتقليد عرض الرؤوس المقطوعة على الجامع أو في السوق. ويبدو أن المهدية قد ورثت هذه الوسائل والتقاليد من الأنظمة السابقة التي حكمت في السودان. فنجد أن الحكومات السابقة قد مارست مثل هذه الوسائل . ونحاول فيما يلي تتبع هذه العقوبات وتاريخها مع التعريف بها وبتأثيرها.

١ / الموت صبرا:

في هذه العقوبة يمنع المحكوم عن الطعام أو الشراب أو منهما معاً إلى أن يموت ومن هنا جاءت تسميتها بالموت صبراً فهو صبر على الجوع والعطش.

وهي كما هو واضح موت بطئ يتضمن قدرا مهولا من العذاب ويترتب على هذه العقوبة تعرض الجسد لالام وتغييرات فظيعة فيبدأ الجسد باستهلاك نفسه عندما ينتهي مخزونه من المواد الغذائية ويزوى شيئا فشيئا ، وقد يمتد الأمر لأيام طويلة من العذاب قبل أن يسلم المحكوم عليه روحه . ومن وصف الخليفة عبدالله لحالة الزاكي طمل في خطابه لمحمود ود أحمد - بعد موت الزاكي - تتبين لنا فظاعة الحالة التي يؤول لها الجسد من هذه العقوبة البشعة «أنه هلك في السجن على

صفة فظيعة وحالة شنيعة وأنه بمجرد خروج روحه أشتعلت النار فى جسده وأسود وجهه والعياذ بالله » ولا شك إذا تغاضينا عن أشتعال النار فى جسد الزاكى وأخذنا باقى اللوحة يتبين لنا لأى درجة تحول جسده .

وبالنظر إلى تاريخ هذه العقوبة فى السودان نجد أنها قد عرفت فى عهد السلطنة الزرقاء إذ لقى عدد من الرجال مصرعهم بهذه الطريقة على يد أولى الأمر فى السلطنة . فيذكر كاتب الشونة عن من مات فى فترة حكم الوزير الرابع الشيخ ناصر ولد محمود شيخ الهمج والقابض الفعلى على زمام الأمر «أولا قبض الفقيه حجازى بن أبى زيد وقتله عطشا وقتل الفقيه نجدى خنقا وقتل جماعة الحضارمة فقيل عطشة حجازية وخنقة نجدية وذبحة حضرمية » (١) . إذن فقد كانت عقوبة يضرب بها المثل .

ويذكر كاتب الشونة أن «الشيخ عدلان قد قتل الملك محمد ود نمر بالحديد صبراً عندما ظفر به (٢) . وهى فى ظننا المنع من الغذاء مع التقييد بالحديد » .

ويذكر كاتب الشونة فى سرده لأحداث سنة ١٢٢٠ هجرية « وفيها قبُض الشيخ جماع ابن الشيخ الأمين ، قبضه أخوه ومات صبرا »(٣) وذلك يوافق سنة ١٨٠٥ / ١٨٠٦ .

ومن هذه الشواهد يتبين لنا أن الاعدام صبرا من وسائل العقاب المعروفة فى عهد السلطنة الزرقاء وبعثه مرة أخرى لحيز الوجود نظام الخليفة عبدالله ونلاحظ أن هذه العقوبة قد اختفت فترة حكم التركية السابقة .

٢ / الاعدام ضربا بالعصى :

فى تنفيذ هذه العقوبة يحيط عدد من الرجال بالمحكوم عليه

(١) مخطوطة كاتب الشونة ص ٤٤ .

(٢) المرجع السابق نفسة.

(٣) المرجع السابق ص ٥٦ .

وينهالون عليه ضرباً بالعصى حتى تفيض روحه ، ولا تفيض روح الإنسان بسهولة فى هذه العقوبة الا إذا تهشمت جمجمته منذ الضربات الأولى ، وفى الغالب أن تتهشم عظامه وأضلاعه واطرافه ويتعرض للعذاب إلى أن يسعفه الموت. وفيما يبدو لا تقيد الضحية بل تترك طليقة تتناوشها العصى من كل جانب وتحصرها فى دائرة الضرب .

وتبدو بشاعة هذه العقوبة حين رفض الأمير عبدالله ود إبراهيم تنفيذ أمر الزاكى طمل بقتل السيد عبدالقادر ساتى والسيد محمد عبدالكريم بها متعللا بأنهما من أهل المهدى وقال له : « ما أظن أن إنسانا فيه خير يرضى بإن يتولى تنفيذ هذا الحكم ويشهد قتل ناس من أهل المهـــدى (٤) وقد بكى الأمير عبدالله حين رأى الجثتين بعد تنفيذ الحكم.

وفى بحثنا عن تاريخ هذه العقوبة فى السودان لم نعثر الا على عقوبة واحدة شبيهة بها وقد نص عليها فى قانون دالى لدى الفور فقد جمعت الأحكام العرفية فى سلطنة الفور بين دفتى كتاب واحد عرف بقانون دالى وقد سنت العقوبة لمواجهة جريمة تقوم على خرافة قديمة عند بعض العجائز مفادها أنه لا يخصب لهن زرع الا إذا دفن فى الأرض شخصاً يقتلنه مسموما بسم حية. فكانت العقوبة على هذه الجريمة باعظم عقاب وذلك بتصدير مال القاتلة إلى خزينة السلطان واحراق بيتها ثم لفها بحصير من شوك وضربها بالعصى إلى أن تموت (٥).

فهى أقصى عقاب فى مواجهة جريمة ولم ينقل التاريخ عقوبة مشابهة لكن ما يجعلنا نميل إلى القول بأن هذه العقوبة معروفة لدى الفور ، أنه من ضمن كتائب جيش سلطان الفور السلطان تيراب كانت توجد كتيبة من حملة النبابيت تقف فى الترتيب مباشرة أمام قلعة السلطان فى جيشه

---

(٤) جهاد فى سبيل الله ص ١٧٧ .

(٥) نعوم شقير ص ١٨٠ .

المتحرك [٦].

وليس من المستبعد أن يكون الخليفة قد نقل هذه العقوبة عن سلاطين الفور خاصة وأنه من المنطقة الواقعة تحت نفوذهم ومن الممكن أن يتمثل تراثهم العقابى .

٣ / الصلب:

عقوبة الصلب أختص بها المكذبين لأمر المهدية (الجرائم العقائدية) وقد نفذت على محمد نور الفادنى والشيخ محمد عبدالماجد وتجد مصدرها من عقوبة الحرابة فى الشريعة الإسلامية .

٤ / الحد بالسيف ، المشنقة وعادة تعليق الرؤوس:

وهذه وسائل اعدام شائعة فى كل العهود وعرف السودانيون المشنقة مع دخول حكم التركية السابقة وأول من قتل بها الحاج على ود تمساح من أهالى بربر [٧] أما عادة تعليق الرؤوس فقد كانت أيضاً ميراثا من عهد التركية السابقة.

ونذكر من بين من حزت رؤوسهم وجلبت إلى ام درمان فى عهد الخليفة عبدالله لتعلق فى الجامع أو فى السوق الشيخ مادبو على / وادم محمد البرقاوى وامراء الرايات المصدقين به فى ادعائه نبوءة عيسى عليه السلام / وأساغة شقيق أبى جميزة.

---

(٦) نعوم شقير ص ١٥٩.

(٧) مخطوطة كاتب الشونة ص ٨٨ .

قائمة المراجع

مراجع عربية

(١) مخطوطة كاتب الشونة، أحمد بن الحاج أبو على، تحقيق الشاطر بصيلى وزارة الثقافة والارشاد القومى، القاهرة ١٩٦١م

(٢) تاريخ ملوك السودان، تحقيق د. مكى شبيكة، مطبوعات كلية غردون التذكارية، الخرطوم ١٩٤٧م

(٣) تاريخ السودان، نعوم شقير، تحقيق د. محمد ابراهيم ابو سليم دار الجيل بيروت، ١٩٨١م

(٤) السودان فى قرن، د. مكى شبيكة، الطبعة الثالثة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦١م

(٥) السودان عبر القرون، د. مكى شبيكة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٤م

(٦) السودان المعاصر منذ الفتح المصرى حتى الاستقلال ١٨٢١ ـ ١٩٥٣ د. زاهر رياض،معهد الدراسات الافريقية ١٩٦٦م

(٧) على تخوم العالم الاسلامى، حقبة من تاريخ السودان (١٨٢٢ ـ ١٨٤١) الجزء الاول، ترجمة عبد العظيم محمد أحمد عكاشة المطبوعات العربية للترجمة والنشر الخرطوم الطبعة الأولى ١٩٨٧م

(٨) على تخوم العالم الاسلامي الجزء الثانى، ترجمة ثريا الزين صغيرون المطبوعات العربية للترجمة والنشر

(٩) الحكم المصرى فى السودان ١٨٢٠ ـ ١٨٨٥ د. محمد فؤاد شكرى دار الفكر العربى ١٩٤٧م

(١٠) السودان بين يدى غردون وكتشنر ابراهيم فوزى باشا مطبعة

الآداب والمؤيد "جزئين" القاهرة ١٣١٩هـ

(١١) السيف والنار سلاطين باشا الطبعة الثانية المطبوعات العربية للتأليف والترجمة. (١٢) الصراع بين المهدى والعلماء د. عبد الله على ابراهيم شعبة ابحاث السودان كلية الاداب جامعة الخرطوم الطبعة الأولى ١٩٦٦م

(١٣) قبائل من السودان الاوسط والسودان الغربى د. عبدالمجيد عابدين.

(١٤) النيل الازرق آلن مورهيد ترجمة ابراهيم عباس ابو الريش دار الثقافة بيروت ومكتبة النهضة الخرطوم الطبعة الاولى ١٩٦٦م.

(١٥) جهاد في سبيل الله - مذكرات علي المهدى - تقديم الصادق المهدى اشرف علي اعداده عبد الله محمد أحمد.

(١٦) ملامح القاهرة في ١٠٠٠ عام جمال الدين الغيطانى/ دار الهلال ١٩٨٣

(١٧) تاريخ عجائب الأثار في تراجم الاخبار عبد الرحمن الجبرتى.

(١٨) منشورات المهدية د. محمد إبراهيم ابو سليم الخرطوم ١٩٦٩

(١٩) الأثار الكاملة للامام المهدى خمسة مجلدات تحقيق. محمد إبراهيم ابو سليم دار جامعة الخرطوم للنشر ١٩٩٠ وما بعدها.

(٢٠) تاريخ السودان الحديث ١٨٢٠ - ١٩٥٥ د. محمد سعيد القدال شركة الامل للطباعة والنشر الخرطوم ١٩٩٣.

(٢١) تاريخ كردفان السياسى في عهد الخليفة عبد الله ١٨٨٥ - ١٨٩٩ عوض عبد الهادى رسالة ماجستير ١٩٧٢ كلية الآداب قسم التاريخ (بالآلة الكاتبة). «تمت طباعة الكتاب بواسطة وزارة الثقافة ١٩٧٣».

(٢٢) الإسلام والسياسة في السوادن ١٦٥١ - ١٩٨٥ د. محمد سعيد القدال دار الجيل لبنان، الطبعة الاولى ١٩٨٢.

(٢٣) مقدمة في تاريخ الممالك الاسلامية في السودان الشرقى (١٤٥٠ - ١٨٢١) د. يوسف فضل جامعة الخرطوم ١٩٨٩.

(٢٤) الحركة الفكرية في المهدية د. محمد إبراهيم ابو سليم الطبعة الثالثة ١٩٨٩.

(٢٥) تاريخ دار فور السياسى د. موسى المبارك قسم التأليف والترجمة والنشر جامعة الخرطوم ١٩٧٣.

(٢٦) المقاومة الداخلية لحركة المهديه (١٨٨١ - ١٨٩٨) محمد محجوب مالك دار الجيل بيروت..

(٢٧) سعادة المستهدى بسيرة الامام المهدى اسماعيل عبد القادر الكردفانى تحقيق محمد إبراهيم ابو سليم الطبعة الاولى ١٩٧٢ الدار السودانية للكتب ودار الفكر بيروت.

(٢٨) المجلة التاريخية المصرية العدد الأول مايو أكتوبر ١٩٤٨.

مراجع إنجليزية

1.The MAHDIST STATE IN The SUDAN 1881, P.M.HOLT 1958 Oxford

2. Egypt in The Sudan , Royal institute of international Affairs 1959.

3. The Biographical Dictionary of the Sudan, oxford 1967.

الفهـــرس

الموضوع | الصفحة

الصفحة

تنفيذ : آفاق للدعاية والنشر
ت و فاكس : ٣٠٣٩٤٣٦